الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد "حمّه لخضر" الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

دراسات لغوية في القرآن الكريم

مطبوعة بيداغوجية موجّهة إلى طلبة السنة الأولى ماستر

تخصّص: التفسير وعلوم القرآن

السّداسي: الثاني.

إعداد الدكتور: ميلود عماره.

السنة الجامعية: 2019\2020

محاضرات في مادة: دراسات لغوية في القرآن الكريم

مطبوعة بيداغوجية موجّهة إلى طلبة السنة الأولى ماستر

تخصّص: التفسير وعلوم القرآن

السّداسي: الثاني.

إعداد: د/ مـــيلود عمارة

أستاذ محاضر "أ" بقسم الحضارة الإسلامية

معهد العلوم الإسلامية

* * *

بسم الله الرّحمن الرّحيم

***محتوى المادة ***

المحاضرة الأولى: مدخل حول نشأة اللغة وخصائصها.

المحاضرة الثانية: غريب القرآن.

المحاضرة الثالثة: لهجات القبائل في القرآن .

المحاضرة الرابعة: الوجوه والنظائر في لقرآن الكريم.

المحاضرة الخامسة: المشترك اللفظي في القرآن الكريم.

المحاضرة السادسة: الأضداد في القرآن الكريم.

المحاضرة السابعة: الترادف بين اللغة و القرآن الكريم.

المحاضرة الثامنة: مخالفة ظاهر اللفظ معناه " استعمال صيغة مكان أخرى.

المحاضرة التاسعة: الاشتقاق مفهومه وفائدته اللغوية.

المحاضرة العاشرة: ظاهرة التناوب والتضمين في القرآن الكريم.

مقـــدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين وبه أستعين وأصلي واسلّم على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، ثم أمّا بعد:

فقد أنزل الله هذا كتابه العظيم، على سيّد العالمين، بلسان عربي مبين، فبهر حينها الألباب وحيّر العقول والأبصار، لِما فيه من حقّ وجلال، فآمنت به بعض النّفوس صدقا وإيمانا، حين استجابت بفطرتها لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتكُم مَوْعظَة من رَبّكُم وَشفَاءٌ لمَا في الصّدورِ وَهُدًى وَرحْمَة لِلْمُؤمِنِينَ ﴾ [يونس: 57]، وجحدت بعض النفوس كبرا وعنادًا، قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَجَحَدُوا بهَا واستَيقَنَتهَا أَنْفُسُهُم ظُلماً وَعُلُوّاً ﴾ [النّمل: 14]، إلاَّ أنّ كلّ واحد من هذين الفريقين –مع رفعة بيانهم وسُموّ بلاغتهم– عَجَزَ أمام سِحر بيان القرآن وبديع نظمه وأسلوبه.

وفي سبيل توضيح معالم الدّرس اللّغوي في القرآن الكريم، خصّصت هذه المطبوعة البيداغوجية لأبيّن فيها القضايا المتعلّقة بفقه اللّغة العربية دلالة وتركيبا وظفها القرآن الكريم، وذلك من خلال أقوال وآراء العلماء قديما وحديثا، وهذه المطبوعة موجّهة إلى طلبة السّنة الأولى ماستر، تخصّص: التفسير وعلوم القرآن، وقد جاءت وفق

برنامج التدريس في السّداسي الثاني، ضمن وحدات التعليم الأساسية.

وحرصا من المؤلّف على أن يكون هذا العمل في متناول جميع الطلبة والطالبات؛ جاء أسلوب هذه المطبوعة سهلا واضحا، خالٍ من الغرابة والتعقيد، ليتسنّى للطالب الإحاطة بمجمل الموضوعات اللغوية القرآنية، مُحاولا الإلمام بمختلف المسائل المتعلقة بفقه العربية وحسن فهمها ومسالك القرآن في توظيفها، ووجوهه في إثارة دفائنها، وبيان نكتها ودررها المتنوعة، وبذلك يتمكّن الطّالب من بناء مفهوم لغة القرآن الكريم على أصولها وقواعدها؛ كما لا يُهمِل في الوقت نفسه ما أملته الأبحاث اللغوية المعاصرة.

وفي الأخير أسأل الله العلي العظيم أن ينفع بها، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح.

ويمدُدْننا بعَونه وتَوفيقه، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

المحاضرة الأولى: مدخل حول نشأة اللغة وخصائصها

أولا: نشأة اللغة:

تعد اللّغة من نعم الله العظيمة على بني آدم، وهي أصوات مؤلفة يعبّر بها الإنسان عما في نفسه، ووظيفتها التواصل، وهي مؤلفة من الأصوات ومن المعاني التي يعبر بها باللغة، وقد كانت هذه الأصوات موضع دراسة علماء اللغة إذ توغلوا في دراستها حتى شملت الغيبيات ومنها "نشأة اللغة "

وأعظم نعمة أن جعل الله تعالى الإنسان ناطقا قال تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)** [الرحمن: 3-4]، وقال أيضا: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** [إبراهيم: 4] وهي الوسيلة التي بلّغ الله تعالى بها خلقه.

وقد اختلف العلماء عليهم الرضوان في نشأة اللغة أهي توقيف من الله تعالى، أم هي اصطلاح و وضع من البشر، أم هي تقليد للطبيعة.

فقال قوم بالتوقيف منهم الشيخ أبو محمد المقدسي وطوائف من أصحاب الإمام أحمد وهو قول الأشعري وبعضهم قال بالاصطلاح والتوقيف أي يجوز هذا وهذا ولا تجزم بشيء ومنهم القاضي أبي يعلى والقاضي الباقلاني، ولم يقل إنها اصطلاحية إلا طوائف من

المعتزلة وعلى رأسهم أبو هاشم ابن الجبائي (321هـ) صاحب فرقة البهشمية وهي آخر فرق المعتزلة. [1]

ثانيا: تعريف اللغة ومكوناتها:

عرف ابن جني اللغة في كتابة الخصائص بأنها: ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.))[2]

ويراها بعض المحدثين أنها ((نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين.))[3]

وتُعرّف على أنها: ((معنى موضوع في صوت.))[4]

وتتكون اللغة من اللفظ المنطوق والمعنى الذي يحمله ذلك اللفظ، **فاللفظ** هو الصوت والمنطق ولولاه ما عبر الإنسان عن أفكاره ومشاعره .

أما **المعنى** هو فكر الإنسان الباطن، ولا يمكن إدراكه إلا بالتعبير عنه.

---

(1)- ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، ج4، ص232، والصحاح، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ- 1987م، ج3، ص884.

(2)- الخصائص، ابن جني، ج3، ص884.

(3)- علم اللغة العام، ص

(4)- علم الدلالة، أحمد مختار، ص

ثالثا: خصائص اللفظ والمعنى:

1- اللفظ طبيعته نطقية، وسمعية، وإدراكه فطري:

الرسالة اللغوية المنطوقة ذات طبيعة ثنائية فهناك الجانب المادي الذي تشكله عملتي النطق والسمع ، وهنالك الجانب النفسي والمتمثل في تحصيل المعنى الذي دل عليه الصوت المنطوق، فبالسمع نعلم أسماء الأشياء، وبالفؤاد نعقل الصفات المشتركة والمختصّة.

2- اللفظ تبعٌ للمعنى:

أسلفنا القول بأنّ اللّغة تتكون من اللّفظ المنطوق والمعنى المفهوم لكن أيّهما أسبق في الوجود الألفاظ أو المعاني.

- صلة اللّفظ بالمعنى:

وهنا تدرس العلاقة بين اللّفظ والمعنى هل هي اعتباطية أو معللّة؟

- حكاية الأصوات:

في اللّغة ألفاظ مثل صليل السّيوف، صهيل الفرس، خرير الماء، .... وهنا لا يمكننا القول بالصّلة الطبيعية بين اللّفظ والمعنى لأنّها كقول الخليل من "باب الحكاية"، فليس الصّوت دلّ بطبعه على معناه وإنّما الإنسان هو الذي عبر عن المسموعات بأصواتها.

رابعا: مفهوم المناسبة بين اللفظ والمعنى:

وفي هذا يدرس الفرق بين المناسبة و الصّلة الذّاتية بين الألفاظ والمعاني.

1- **المناسبة:** يرى كثير من العلماء إثبات المناسبة بين اللّفظ والمعنى، ويتم إدراكها من العلماء بعد التأمل والنظر، وبعد علمهم أنّ هذا اللفظ وضع لذلك المعنى.

مثاله المناسبة بين لفظ لا النافية ومعناها، وكذا ين لن ومعناها، فالنفي بـ"لا" لا حدود له، ولا نهاية ما لم يقيد بزمن، لذلك ناسب هذا المعنى امتداد الألف آخر الحرف الذي يوحي بالإطلاق والاتساع.

أما "لن" فمن خواصِّها أنها تنفي ما قرُب، فلا يمتدُّ معنى النفي فيها؛ كامتداد معناه في "لا"، فناسب هذا السكون في آخرها الذي يوحي بالتقييد والقرب.

وكذلك المناسبة بين معنيي كل من "ما" و"لم":

فقولك: "**ما كتب**" نفي عام، أي نفي الكتابة عنه أبدًا حتى هذه اللحظة فناسب ذلك ألف الإطلاق.

أما قولك: "**لم يكتب**" : أي أنه لم يكتب في زمن مضى فقط، ولكنه ربما يكون قد كتب بعد ذلك، والمتكلم لا يعلم، فناسب التقييد السكون.

2- **الصلة الذاتية:**

فتعني أن الألفاظ دالة على معانيها بذواتها وليس بالوضع، وقد رد بعض العلماء هذا الوجه بحجة أن المسميات واحدة في كل لغات الدنيا المتعددة.

فهل يمكننا أن نقول بأن الرّجُل سمي رجُلا بذاته، والفرسُ فرساً وهكذا!.

***النظرية الإشارية:**

تعدّ اللّغة وسيلة لتصوير المجتمع، فهي كالمرآة التي تعكس الموجودات، لكن عن طريق التعبير الصوتي.

ويقصد بالنظرية الإشارية أنّ معنى الكلمة هو إشارتها إلى غير نفسها.

الفكرة أو"المدلول" أو الصورة الذهنية"

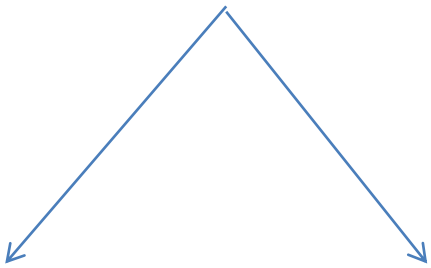

الشّيء الخارجي .....الكلمة "الصورة الصوتية"

خامسا: من المؤلّفات القديمة والمعاصرة في الدراسات اللغوية: [1]

1- الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الرّومي الهروي (ت:224هـ) تحقيق: امتياز علي عرشي الرامفوري، دار ركابي. وله طبعة أخرى تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة.

2- ما اتفق لفظه واختلف معناه: لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيديّ اللُّغَويّ (ت: 225هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، بيروت.

3- المجرَّد في غريب كلام العرب ولغاتها: لكُرَاعُ النَّمْلِ عليُّ بنُ الحَسَنِ الهُنَائِيُّ (ت: 310هـ) تحقيق: د. محمد بن أحمد العمري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

4- **نزهة القلوب في تفسير علام الغيوب،** لأبي بكر محمد السجستاني ت330هـ

---

(1)- ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، الطبعة الثانية عشرة 1424هـ - 2003م، ص267-269. وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص75.

5- الصاحبي في فقه اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني"ت395هـ" عنونته بهذا الاسم لأنه لما ألفه أودعه خزانة "الصاحب" الجليل كافي الكفاة، واقتصر السيوطي على تسميته باسم "فقه اللغة" في أكثر من موضع من كتابه المزهر، وسماه البعض فقه العربية

6- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، ت392هـ يهدف إلى معرفة أسرار اللغة العربية وخصائصها ومزاياها والوقوف على العلل الحقيقية لها.

7- الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد سنة 395هـ): وهو معتزلي غلبت عليه العناية بالأشعار.

تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت.

له طبعات أخرى منها: تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر.

وله أيضا: **الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

وأمّا **المؤلفات الحديثة:**

فكثيرة جدًّا في مختلف أوجه الإعجاز، أذكر منها:

1- الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لهادي أحمد فرحان الشجيري ، دار البشائر الإسلامية، سنة النشر: 1422 – 2001، أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة

2-: تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المحقق: طارق فتحي السيد، سنة النشر: 1425 – 2004.

***

المحاضرة الثانية: غريب القرآن.

أولا: تعريف غريب القرآن:

أ- **لغة:** يطلق الغريب في اللغة عن الانفراد عن أبناء الجنس، يقال: فلان اغترب، أي انفرد عنهم.

الغريب في اللغة البعيد عن وطنه، جمعه غرباء، وقالت العرب: قذَفَتْهُ نوى غَرْبة، أي بعيدة، كما جاء في استعمالهم: أصابه سهْمُ غَرْب، أي لا يدرى راميه، واشتقوا من مادة (غريب) أفعالاً، قالوا: اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه.

والغريب في الكلام؛ الغامض، كما جاء في معجم العين.

ومن معانيها: "البُعد" فالكلام الغريب هو البعيد عن الفهم والإدراك.

ب- **اصطلاحا:** ويقصد به في اصطلاح كتب غريب القرآن : تفسير ألفاظ القرآن تفسيرا لغويا، وقد يكون مدعوما بالشواهد العربية"

وألفاظ القرآن –كما قال العلماء– على قسمين: قسم تعرفه العامة كالسماء والارض، والجبال...ونحوها، وقسم يُحتاج في بيانه إلى أهل العم كلفظ السّرمد، والدُّلوك، والضّريع ..ونحوها.

وقد تُدخِل كتب الغريب في مفهومه المبهمات من الأعلام، وبعض

أسباب النزول، كما جاء عن ابن قتيبة –رحمه الله– 276هـ في تفسير قوله تعالى: "أولائك مبرءون مما يقولون" قال يعني : عائشة رضي الله عنها.

ثانيا: الفرق بين الغريب والغامض من الكلام:

قال الرافعي رحمه الله: وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ها هنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر النّاس. [1]

فدل هذا على أنه ليس في القرآن كلمة غريبة على العرب قاطبة ، فما جهله واحد علمه كثير غيره.

ثم إن الغريب في الكلام يقال على وجهين كما ذكر الخطابي:

1- أن يراد به الكلام الغامض البعيد من الفهم لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر.

2- أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها وإنما هي كلامهم

([1]) . ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،

وبيانهم. [1]

وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقال له قائل: اسألك عن حرف من الغريب ، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه، وعليه فإن مفردات القرآن الكريم لن تكون البتة من الوجه الأول من وجهي لغريب –كما ذكر الرافعي– وإنما هي من الوجه الأخر فنحن الغرباء عن بيانها الذين ارتحلت بنا العجمة عن ديار أجدادنا ارتحال جنان ولسان لا ارتحال ديار وأزمان.

ثالثا: الفرق بين غريب القرآن ومعاني القرآن:

الغريب هو جزء من "معاني القرآن"، لأنه لا يمكن بيان المعنى من دون معرفة المدلول اللغوي للفظ، لكن كتب الغريب تجردت وانفصلت لتستأثر بتفسير الألفاظ القرآنية تفسيرا لغويا.

رابعا: التأليف في غريب القرآن:

ظهر الكلام في الغريب عند اتباع التابعين وقد نسب بعض الباحثين كتبا إلى ابن عباس في الغريب وهي ليست من صنعه، بل هي لمن جاء بعده، ومنها:

- **غريب القرآن** لابن عباس ت68هـ وكتبت في القرن الثامن 8هـ

([1]) . ينظر: بيان إعجاز القرآن، ،

- **مسائل ابن الأزرق:** وقد تجاوزت مسائله المائتين وخمسين مسألة، قال عن طرقها العلماء بأنها غير مرضية، وجاءت بعض شواهدها لشعراء أتوا بعد ابن عباس.

ويعدّ كتاب **مجاز القرآن** لأبي عبيدة معمر ابن المثنّى ت210هـ أول كتاب مطبوع من كتب غريب القرآن.

ومن ميزاته: كثرة الشواهد: إذ فيه ما يربو على تسع مائة شاهد.

- بيان المفردات وشواهدها.
- الأساليب العربية في الخطاب، كقوله: تقول العرب، تجعل العرب، العرب تصنع...ونحو هذا.
- توجيه القراءات.

ومن الكتب التي أسست للغريب بعد أبي عبيدة: كتاب: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ت276هـ، وكذا كتاب غريب القرآن المسمى **(نزهة القلوب في تفسير علام الغيوب)** لأبي بكر محمد السجستاني ت330هـ .

وفي القرن السادس وضع الراغب الأصفهاني ت 502هـ كتابه المسمى "المفردات في غريب القرآن" ومنه أبو البركات ابن الأنباري ت 577هـ ، وكتابه **(البيان في غريب القرآن)**.

ومن كتب الغريب في القرن الثامن كتاب محمد بن يوسف بن علي المعروف بأبي حيان الأندلسي ت 745هـ، واسمه **(تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب)**

ومنها في هذا القرن أيضا كتاب **(بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب)** لعلاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم ابن التركماني المارديني المصري ت 750هـ.

ومنها: **(عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ)** لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي ت 756هـ، وهو أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن.

وسيأتي بيان لنماذج تطبيقية عن بعض هذه المصنّفات.

خامسا: نماذج تطبيقية من بعض كتب غريب القرآن:

اختلف أهل علم الغريب في شرح المفردات الغريبة، مثلَ اختلافهم في طرق التصنيف والتأليف. فمنهم من مال إلى الاختصار الشديد، فاقتصر على الشرح اللغوي للفظ القرآني. ومنهم من مال إلى الإطالة وجمع المادة العلمية حول اللفظ المُفَسَّر. ومنهم من وفق بين الطريقتين، فتجنب الاختصار الشديد كما تجاوز الإطالة المُمِلّة. وسنذكر فيما يلي نموذجا لكل طريقة من الطرق الثلاث:

1: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة 276هـ:

اعتمد ابن قتيبة في كتابه على ترتيب الألفاظ الغريبة حسب سور القرآن الكريم ، والتزم في ذلك التوسط والاعتدال، إذْ فَسّر اللفظ في سياقه، ثم بَيَّن أصْله الذي اشتُق مِنه دون إسهاب في القول، وأحيانا يستشهد عليه بالشعر أو بأقوال الصحابة.

نماذج من أول الكتاب:

سورة الفاتحة :

- و(العالمين) أصناف الخلق الروحانيين، وهم الإنس والجن والملائكة، كل صنف منهم عالَم.

- (الصراط) الطريق. ومثله {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا

تتبعوا السبل} [الأنعام،153]، ومثله {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} [الشورى،52].

-(المغضوب عليهم) اليهود.

-(الضالين) النصارى.

سورة البقرة:

- (لا ريب فيه) لا شك فيه.

(هدى للمتقين)أي رشدا لهم إلى الحق.

- (الذين يؤمنون بالغيب) أي: يُصدقون بإِخْبَار الله –عز وجل– عن الجنة والنار، والحساب والقيامة، وأشباهِ ذلك.

(ومما رزقناهم ينفقون) أي: يزكون ويتصدقون.

- (وأولئك هم المفلحون): من الفلاح؛ و أصله البقاء. ومنه قول عُبيد:

أَفْلِحْ بما شئت؛ فقد يُبْلغُ بالضـ ـضَعْفِ، وقَد يُخدَعُ الأَرِيبُ

أي: ابق بما شئت من كَيس أو غفلة.

فكأنه قيل للمؤمنين: مفلحون؛ لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم. هذا هو الأصل. ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزم، وتكاملت فيه خلال

الخير.

***نماذج من آخر الكتاب: *سورة التكاثر:**

- (ألهاكم التكاثر) بالْعدد والقرابات.

- (حتى زرتم المقابر): حتى عدَدتم من في المقابر من موتاكم.

- (عن النعيم) يقال الأمن والصحة.

***سورة العصر:**

- (وَالعصر): الدهر؛ أقسم به. - (إن الإنسان لفي خسر) أي في نقص. - (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات): فإنهم غير منقوصين.

2: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني 502هـ:

سلك الأصفهاني في ترتيبه لألفاظ القرآن الكريم مسلك معاجم اللغة. وذلك باتباعه الترتيب الألفبائي للجذر اللغوي للكلمة، حيث يقدم اللفظة ويحدد معناها، ثم يسوق أهم الآياتِ التي ضَمَّنَتها، مبينا الفروق بين المعاني الدقيقة للألفاظ، بناء على اشتقاقاتها الصرفية أو المعجمية، مراعيا السياق في ذلك. وقد يعزز شرحه بالإتيان بشواهد من الحديث الشريف أو الشعر، وأحيانا يورد وجه القراءات التي تضيف معاني أخرى لِلَّفْظ.

- نماذج من كتاب الزاي :

زبد: الزَّبَدُ زَبَدُ الماء، وقد أزبَد أي صار ذا زبَدٍ. قال: {فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفاءً} والزُّبْدُ اشتُق منه لمشابهته إياه في اللون، وزَبَدْتُه زبدا أعطيته مالا كالزَّبَدِ كثرة وأطعمته الزُّبدة، والزَّبادُ نَوْرٌ يُشبهُ بياضا.

زبر: الزُّبْرَةُ قِطعة عظيمة من الحَديد، جمعه زُبَرٌ. قال: {آتوني زبر الحديد} وقد يقال الزَّبْرَةُ من الشَّعَر جمعه زبُرٌ، واستعير للمجزَّئِ، قال: {فَتَقَطَّعوا أمرهم بينهم زُبُرا} أي صاروا فيه أحزابا. وزَبَرْتُ الكتاب كتبه كتابة عظيمة، وكل كتاب غليظِ الكتابة يقال له زَبُورٌ، وخُص الزَّبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، قال: {وآتينا داود زبورا} {ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر} وقرئ زُبُورا بضم الزاي، وذلك جمع زَبُور، كقولهم في جمع ظَريف ظُرُوف، أو يكونُ جمع زِبْرٍ، وزِبْرٌ مصدرٌ سُمِّيَ به كالكتاب، ثم جُمِع على زُبُرٍ كما جُمِع كتاب على كتب وقيل بل الزَّبُورُ كل كتاب صَعُب الوقوف عليه من الكتب الإلهية قال: {وإنه لفي زبُر الأولين} قال{والزبُر والكتاب المنير} {أم لكم براءة في الزبر} وقال بعضهم: الزَّبُورُ اسم للكتاب المقصور على الحِكم العقلية دون الأحكام الشرعية...

***نماذج من كتاب الفاء:**

فتح: الفتحُ إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح القُفل، والغَلْقِ والمتاع، نحو قولِه: {ولما فتحوا متاعهم} {ولو فتحنا عليهم بابا من السماء}. والثاني يُدْرك بالبصيرة كفتح الهَمِّ، وهو إزالة الغم، وذلك ضروبٌ؛ أحدها: في الأمور الدنيوية كغمٍّ يُفرجُ وفقْرٍ يُزالُ بإعطاء المال ونحوِه،نحو{فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء} أي وَسَعْنا، وقال: {لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} أي أقبل عليهم الخيرات. والثاني فتح المستغلق من العلوم، نحوُ قولك فلان فتح من العلم بابا مغلقا، وقوله: {إنا فتحنا لك فتحا مبينا} قيل عَنى فتح مكة، وقيل بل عَنى ما فُتح على النبي من العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التي صارت سببا لغفران ذنوبه. وفاتحة كل شيء مبدؤه الذي يُفتح به ما بعده، وبه سميت فاتحة الكتاب... وفَتح القضية فِتاحا: فصل الأمر فيها، وأزال الإغلاق عنها، قال: {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين}...وقيل الفُتاحة بالضم والفَتح، وقوله: {إذا جاء نصر الله والفتح} فإنه يحتمل النُصرة والظَّفرَ والحكمَ وما يَفتح الله من المعارف، وعلى ذلك قوله: {نصر من الله وفتح قريب} {فعسى الله أن يأتي بالفتح} {ويقولون متى هذا

الفتح}{قل يوم الفتح}، أي: يوم الحكم، وقيل: يومَ إزالة الشبهة بإقامة القيامة.

فتر: الفُتُور سكون بعد حِدَّة، ولِينٌ بعد شِدَّة، وضَعف بعد قوة، قال تعالى: **{يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولُنا يُبيِّن لكم على فترة من الرسل}** أي سكونِ حالٍ عن مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم. وقوله: {لايفترون} أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكُل عمَلٍ شِرَّةٌ ولِكل شِرَّةٍ فَترة، فمن فتر إلى سنتي فقد نجا وإلا فقد هلك». فقوله لكل شِرَّةٍ فترة فإشارة إلى ما قيل: للباطل جولة ثم يضمحل، وللحَقِّ دولة لا تَذِلُّ ولا تقل، وقوله من فتر إلى سنتي أي سكن إليها.

لقد استطاع الأصفهاني أن يتوسع في شرح المفردات، ويجمع المادة العلمية عن اللفظ القرآني المفسَّر في آيات مختلفة، حتى صار كتابه أقرب لكتب الوجوه والنظائر، وأشبه ما يكون بمعجم كامل للألفاظ القرآنية. وقد يكرر الآية نفسها في مواد أخرى ويشرحها، لارتباطها بألفاظ أخرى تستدعي الشرح، مثل: قول الله تعالى: **{وأما الزبد فيذهب جفاء}** ذَكَرَ الآية في مادة (زبد) – كما سلف – وذكرها في مادة: (جفا) ، شارحا الكلمة والسياق المتعلق بها.

3: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي 754هـ:

يعتمد أبو حيان الأندلسي طريقة ترتيب الألفاظ حسب حرفها الأول فالأخير، دون مراعاة وسطِ الكلمة والحروف الزائدة. ويقتصر على ذكر المعنى اللغوي للفظ القرآني مباشرة دون أن يهتم بالقضايا اللغوية أو الصرفية أو النحوية، ودون ذكر أحد من اللغويين والمفسرين أو الاستشهاد بشاهد.

وأحيانا يفصح عن عدد الأقوال التي قيلت في لفظة ما، ثم يرجح أنسبها. كما أنه لا يشير إلى الآية والسورة التي ترد فيها اللفظة الغريبة.

***نماذج من حرف الهمزة:**

أَبَبَ: {الأبُّ}: ما رعته الأنعام، وقيل: هو للبهائم كالفاكهة للناس.

أَرَب: {الإرْبةُ}: الحاجة.

أوَب: {أوَّاب}: رجَّاع – {أوِّبي}: سبِّحي.

ألَت: {ألَت} : نقص، ويقال: لات يليت.

أمت: {الأَمْت} : الارتفاع والهبوط.

أثث: {الأثاث}: المتاع.

المحاضرة الثالثة: لهجات القبائل في القرن الكريم.

أولا: تعريف اللّهجة والفرق بينها وبين اللّغة:

اللّهجة: في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصّفات اللّغوية التي تنتمى إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغوية.

وتلك البيئة الشاملة التي تتألّف من عدّة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللّغة، فالعلاقة بين اللّغة واللّهجة هي العلاقة بين العام والخاصّ فاللّغة تشتمل على عدّة لهجات، لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات.

ويُعبِّر القدماء عمّا نسميه الآن باللّهجة بلفظ "اللّغة" كثيراً، فيشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم، ولغة طيء، ولغة هذيل، وهم يريدون بذلك ما نعنيه نحن الآن بكلمة "اللّهجة" وقد يعبّرون بكلمة "اللّسان"، وهو التعبير القرآني: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ } [إبراهيم: 4] [1]

([1]) . ينظر: نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1411هـ،

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف كثيرا من هذه اللهجات، فمن ذلك الكشكشة والكسكسة، وهما تخصان ضمير المخاطبة، إذ كان بعض تميم وأسد يلحقون بكاف المخاطبة شيئا في الوقف، وفى الوصل أحيانا، فيقولون: رأيتكش وعليكش وبكش، وكانت بعض قبائل ربيعة تلحق السين بدل الشين، فتقول:

رأيتكس وعليكس وبكس، وكان منهم من يحذف الكاف ويضع مكانها الشين أو السين.

ومن ذلك العنعنة، وهى في تميم وبعض قيس وأسد، إذ يجعلون الهمزة عينا في بعض الكلمات، فيلفظون «استعدى» بدلا من «استأدى» ويلفظون «أعدى» بدلا من «آدى»، وكان هناك من يقول: «دأني» عوضا عن «دعني»، ومن يلفظ «لعل»: «لأن» بإبدال اللام أيضا نونا، وقالوا بدلا من «أن وإن»: «عن وعن».

وتقرب من العَنْعنة؛ الفَحْفحة، وكانت في هذيل، إذ تبدل الحاء عَينا، فيقولون في "حتّى": "عتّى"، وهذه اللهجات جميعا كانت تشيع في بعض القبائل الشّمالية المُضَرية، ومثلها التضجّع، وهو الإمالة،

ص 4 .

إذ كانت تميم، وقيس، وأسد؛ تميل إلى إمالة الألف، وكان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يميلون. [1]

ثانيا: اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم:

يرى كثير من الباحثين اللغويين القدامى وبعض المحدثين أن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي لغة قريش المكيين، فقد اتخذها العرب جميعا لغة يتعاملون بها وينظمون بها أشعارهم، ويمثل هذا الرأي من اللغويين القدامى: ابن فارس، وقد ذكر ذلك في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، وهو قول السيوطي في الاقتراح، ومن المُحدَثين: علي عبد الواحد وصبحي الصالح وغيرهم. [2]

لكن هذا الرأي ليس صحيحا على إطلاقه لأنّ القراءات القرآنية الصحيحة تثبت أنّ فيها من غير لغة قريش، والسّيوطي نفسه ذكر في كتابه الإتقان: "ما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز" .

وبدليل ظاهر القرآن أنّه نزل بلسان عربي وليس قرشي، قال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا).

([1]) . ينظر: نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان، ص 5 .

([2]) . ينظر: اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء، صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1406هـ، ص 68-69-70 .

وقد ذكر العلماء في علوم القرآن عموما أقوالا كثيرة[1] في اللغات التي نزل عليها القرآن غير لغة قريش، فقيل هي لغة بني سعد بن بكر الذين كان النبي – صلى الله عليه وسلم – مُسترضعاً فيهم، وهي إحدى لغات العجُز، من هوازن، ثم سائر هذه اللّغات وهي جُشمُ بن بكر، ونصرُ بن معاوية، وثقيف، وتلك هي أفصح لغات العرب جملة، ثمّ خزاعة، وهذيل، وكنانة، وأسَد وضئة، وكانوا على قرب من مكة يكثرون التردّد إليها ومن بعدهم قيس، وألفافُها التي في وسط الجزيرة. [2]

واختار ابن عبد البرّ –رحمه الله– أنّ القرآن الكريم نزل بلغة قريش في الأغلب، يقول في التمهيد: ((إنّ القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب –والله أعلم– لأنّ غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز.))[3]

وقال ابن عطية: معنى قول النبي صلّى الله عليه وسلم: ((«أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها

([1]) . ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 169/1

([2]) . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ، ص47.

([3]) . التمهيد، تحق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، 280/8.

نزل القرآن فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح و الأوجز في اللفظة. ألا ترى أن "فطر" معناها عند غير قريش ابتدأ خلق الشيء وعمله، فجاءت في القرآن، فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر فقال أحدهما: "أنا فطرتها"، قال ابن عباس:

((ففهمت حينئذ موقع قوله تعالى: فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ [فاطر: 1، الزمر: 46] .))[1]

وربّما استعمل القرآن الكلمة الواحدة على منطق أهل اللّغات المختلفة فجاء بها على وجهين، لمناسبة في نظمه: كَبرَاء، وبريء، فإنّ أهل الحجاز يقولون: **(أنا منك براء)**، لا يعدونها، وتميم وسائر العرب يقولون: **(أنا منك بريء)**، واللّغتان: في القرآن. وكذلك قوله: (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ)، قوله: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) فإن الأولى لغة قريش؛ يقولون: (أَسْرَيت)؛ وغيرهم من العرب يقولون: (سَرَيْت، وهذا باب من اللّغة لم يقع إلينا مستقصى؛ ولكن علماء الأدب ربما أشاروا إلى بعض ألفاظه في كتبهم، كما تصيب من ذلك في: الكامل للمبرد وغيره. [2]

([1]) . المحرر الوجيز، ابن عطية، ، تحق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ ، 46/1.

([2]) . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص48.

ثالثا: الحكمة في غلبة لغة قريش:

مع فصاحة كل اللغات التي نطقت بها العرب إلا أن العلماء بينوا الحِكَم من غلبة لغة قريش على غيرها من لغات العرب الأخرى، و منها أهمها:

1 – أنّ قريشاً هم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جرت سنة الله في رسله أن يبعثهم بألسنة أقوامهم كما قال تعالى: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } [إبراهيم : 4] .

2 – أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلم قد أُمر بتبليغهم أولاً كما في قوله تعالى : { وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ } [الشعراء : 214] فلابد من مخاطبتهم بما يألفون ويعرفون ليستبين لهم أمر دينهم فأنزل الله القرآن بلغتهم وأساليبهم التي يفضلونها، في مستوى رفيع من البلاغة لا يجاري .

وهذا ما دلت عليه الآثار المروية عن عمر وعثمان – رضي الله عنهما – .

3 – أن لغة قريش أفصح اللغات العربيَّة، وهي تشمل معظم هذه اللغات لاختلاط قريش بالقبائل، واصطفائها الجيد الفصيح من لغاتهم، فإنزال القرآن بلغة قريش يعني نزوله بألسنة العرب جميعاً من حيث الجملة، ولذلك ترجم البخاري لحديث عثمان السابق بقوله: (

باب نزل القرآن بلغة قريش والعرب قرآناً عربياً بلسان عربي مبين ... وذكر حديث عثمان – رضي الله عنه – .

رابعا: نماذج من لهجات القبائل في القرآن الكريم[1]:

أ- **سورة البقرة:** منها نذكر:

قوله تعالى: " قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء " السفيه: الجاهل بلغة كنانة.

قوله: (رغدا) يعني الخصب بلغة طيء.

(الصاعقة) الموتة بلغة عمان.

(رجزا) يعني العذاب بلغة طيء.

(خاسئين) يعني صاغرين بلغة كنانة.

(الطور) يعني الجبل، وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة السريانية.

(لا شية) لا وضح بلغ أزد شنوءة.

(بئسما اشتروا) يعني باعوا بلغة هزيل.

(بغيا) حسدا بلغة تميم.

ب- سورة آل عمران: منها نذكر:

(كدأب آل فرعون) يعني كأشباه بلغة جرهم.

([1]) . ينظر: لغات القبائل في القرآن الكريم، أبو عبيد القاسم بن سلام، 509/3.

(سيدا وحصورا) السيد الحكيم بلغة حمير. والحصور الذي لا حاجة له في النساء بلغة كنانة.

(تدخرون) مثقل بلغة تميم، و (تدخرون) مخفف بلغة كنانة.

(لا خلاق) لا نصيب بلغة كنانة.

(كونوا ربانيين) يعني علماء وافقت لغة السريانية.

ج- سورة المائدة: منها نذكر:

(الكلالة) الذي لا ولد له ولا والد بلغة قريش.

(أن تضلوا) يعني أن لا تضلوا بلغة قريش.

قوله تعالى: (أوفوا بالعقود) يعني بالعهود بلغة بني حنيفة.

(مخمصة) مجاعة بلغة قريش.

(من حرج) يعني من ضيق بلغة قيس غيلان.

***

المحاضرة الرابعة: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

قبل التطرق إلى هذا المبحث وتطبيقاته في القرآن الكريم نعرف به وبمفهومه في اللغة والاصطلاح، وكذا أول من ألف فيه.

أولا: مفهوم الوجوه والنظائر:

يعني بمصطلح "الوجوه والنظائر" أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع متفرقة من القرآن العظيم على لفظ واحد وحركة واحدة، ولكن يراد بها في كل مكان ذكرت فيه معنى يخالف معناها في المكان الآخر.

فكل كلمة ذكرت في موضع وذكر نظيرها في موضع آخر هو ما يعرف أو يسمى **بالنظائر**.

أما تفسير الكلمة بمعانيها المختلفة فهو ما يعرف أو ما يسمى **بالوجوه.**

وعلى هذا فالوجوه من باب المشترك اللفظي غالبا، أما النظائر فليست إلا مجرد أمثلة أخرى للوجه الواحد في مواضع أخرى، ولا تعدّ لا من المشترك ولا من المترادف.

يقول عودة خليل أو عودة: ((علم الأشباه والنظائر فرع من علم التفسير ويقصد بالأشباه الألفاظ المشتركة التي تستعمل في معان

متعددة وهو ما يسمى في الدراسات الحديثة بالمشترك اللفظي، كلفظ العين، والأمة، وغيرها، ويقصد بالنظائر الألفاظ المتواطئة التي تستعمل بمعنى واحد مثل جواد كريم ، وهذا قريب من معنى الترادف في الدراسات اللغوية الحديثة.)) [1]

وقد تطرق السيوطي لتعريف الوجوه والنظائر فذكر أن الوجوه ((للفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة وقد أفردت في هذا الفن كتابا سميته معترك الأقران في مشترك القرآن، والنظائر كالألفاظ المتواطئة)) [2]

ويعرف ابن الجوزي الوجوه والنظائر بمفهوم مختلف قليلا عما سبق (ت:597هـ) في كتابه " نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: " وَأعلم أَن معنى الْوُجُوه والنظائر أَن تكون الْكَلِمَة وَاحِدَة ذكرت فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة، وَأُرِيد بِكُل مَكَان معنى غير الآخر، فَلفظ كل كلمة ذكرت فِي مَوضِع نَظِير للفظ الْكَلِمَة الْمَذْكُورَة فِي الْموضع الآخر، وَتَفْسِير كل كلمة بِمَعْنى غير معنى الآخرى هُوَ الْوُجُوه.

(1) . التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم،

(2) . الإتقان، ج1، ص409.

فَإِذن النَّظَائِر: اسْم للألفاظ، وَالْوُجُوه: اسْم للمعاني، فَهَذَا الأَصْل فِي وضع كتب الْوُجُوه والنظائر، وَالَّذِي أَرَادَ الْعلمَاء بِوَضْع كتب الْوُجُوه والنظائر أَن يعرفوا السَّامع لهَذِهِ النَّظَائِر أَن مَعَانِيهَا تخْتَلف، وَأَنه لَيْسَ المُرَاد بِهَذِهِ اللَّفْظَة مَا أُرِيد بِالْأُخْرَى، وَقد تجوز واضعوها فَذكرُوا كلمة وَاحِدَة مَعْنَاهَا فِي جَمِيع الْمَوَاضِع وَاحِد. كالبلد، والقرية، وَالْمَدينَة، وَالرجل، وَالْإِنْسَان، وَنَحْو ذَلِك. إِلَّا أَنه يُرَاد بِالْبَلَدِ فِي هَذِه الْآيَة غير الْبَلَد فِي الْآيَة الْأُخْرَى (وبهذه الْقرْيَة غير الْقرْيَة فِي الْآيَة الْأُخْرَى) . فحذوا بذلك حَذْو الْوُجُوه والنظائر الْحَقِيقِيَّة. فَرَأَيْت أَن أذكر هَذَا الِاسْم كَمَا ذَكرُوهُ "[1]

كأن مفهوم ابن الجوزي رحمه الله للوجوه والنظائر هو للمشترك فقط، دون المترادف أي الأسماء المتواطئة.

لذلك نقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الرأي: ((وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْمُصَنِّفِينَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوُجُوهَ وَالنَّظَائِرَ جَمِيعًا فِي الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ فَهِيَ نَظَائِرُ بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ وَوُجُوهٌ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَهُ بَلْ كَلَامُهُمْ صَرِيحٌ فِيمَا قُلْنَاهُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.)) [2]

([1]) . نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ، ص83.

([2]) . الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 1416هـ/1995م، ج13، ص227.

وبنفس مفهوم شيخ الإسلام يرى ابن القيم رحمه الله أن الوجوه اسم للألفاظ المشتركة، والنظائر للألفاظ المتواطئة.

ثانيا: التأليف في علم الوجوه والنظائر:

اعتنى العلماء عليهم الرضوان بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم بهذا الجانب عناية خاصة، وذلك لأهميته، إذ به تتسع قاعدة المصطلحات القرآنية وتتضح المفاهيم القرآنية.

فكتب فيه العلماء منذ بداية القرن الثاني الهجري، ثم ازدهرت مدوناته في القرنين الرابع والخامس، وتضخمت مادتها، واستقرت مناهج التأليف فيها استقرارا واضحا، ثم وصلتنا من القرون المتأخرة أبوابا في الكتب الموسوعية الجامعة من علوم القرآن، فمن أول من صنّف فيه:

عكرمة مولى ابن عباس (ت 105هـ) ، وعلي ابن أبي طلحة (ت 143هـ) ومقاتل بن سليمان (ت 150) في كتابه : (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وقد قيل إنه أول كتاب وصل إلينا في هذا العلم ، وألف فيه هارون بن موسى الأعور ت 170هـ كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) ويحيى بن سلام ت 200هـ كتابه : (التصاريف) ، وفي القرن الثالث ألف الحكيم الترمذي، ت 255هـ

كتابه : (تحصيل نظائر القرآن) ، وألف محمد بن يزيد أبو عباس المبرد ت 286هـ؛ كتابه : (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) ، وفي القرن الخامس ألف الحسين الدامغاني ت 478هـ؛ كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، وألف أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) كتاباً أسماه: (الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها) وفي القرن السادس ألف ابن الجوزي ت 597هـ: (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) ، وألف أبو العباس أحمد بن علي المقرئ ت 658هـ كتابه (وجوه القرآن)، وفي القرن التاسع ألف أبو العماد المصري ت 887هـ؛ كتابه: (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر)، وفي القرن العاشر جاء الإمام السيوطي فألف فيه كتابه: (معترك الأقران في مشترك القرآن) وهو مطبوع بعنوان : (معترك الأقران في إعجاز القرآن).

وقد ارتبطت الدراسات القرآنية منذ البداية بالعلوم اللغوية فكانت أوائل مؤلفات اللغويين والنحاة في معاني القرآن ومجازه وعلم غريبه ومتشابهه وإعرابه، وغيرها.

وقد اعتنى العلماء بألفاظ القرآن ((فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد لفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على أكثر، فاجروا

الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا إلى ترجيح محتملات أحد ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره.))[1]

فقد لاحظ المفسرون أن عددا غير قليل من ألفاظ الكتاب العزيز ورد استعماله في القرآن عدة مرات بحيث يختلف المفهوم منه في كل مرة عن الأخرى أو في بعض المواضع عنه في غيرها، فوضع كثير من المفسرين المتقدمين كتبا خصصوها لجمع هذه الألفاظ وبيان وجوهها أي السبل التي قصدت بها في كل من مواضعها المختلفة.

ثم توسع المتأخرون في التأليف وتفرع من الفكرة بحث لغوي كبير في الألفاظ متعددة الدلالة، سُمِّي بـ "المشترك اللفظي" وأصبح فرعا من علم اللغة العربية. [2]

([1]) . الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت،1401 هـ – 1981 م ص14.

([2]) . الوجوه والنظائر في القرآن، سلوى محمد العوا، دار الشروق – القاهرة، 1417 هـ – 1998 م، ص41.

ثالثا: نماذج عن الوجوه والنظائر في القرآن الكريم:

يقول ابن الجوزي –رحمه الله–: وَذكر بعض الْمُفَسّرين أَن الْعدْل فِي الْقُرْآن على خَمْسَة أوجه: –

أَحدهَا: الْفِدَاء. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {وَلَا يُؤْخَذ مِنْهَا عدل} ، وَفِي الْأَنْعَام: {وَإِن تعدل كل عدل لَا يُؤْخَذ مِنْهَا} .

وَالثَّانِي: الْإِنْصَاف. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: {فَإِن خِفْتُمْ أَن لَا تعدلوا فَوَاحِدَة} ، وفيهَا: {وَلنْ تستطيعوا أَن تعدلوا بَين النِّسَاء وَلَو حرصتم} .

وَالثَّالِث: الْقيمَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْمَائِدَة: {أَو عدل ذَلِك صياما} ، أَرَادَ: أَو قيمَة ذَلِك بصيام [عَنهُ] .

وَالرَّابِع: الشّرك. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْأَنْعَام: {ثمَّ الَّذين كفرُوا برَبهمْ يعدلُونَ}

وَالْخَامِس: التَّوْحِيد. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي النَّحْل: {إِن الله يَأْمر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان}، قيل: أَرَادَ بِالْعَدْلِ: كلمة التَّوْحِيد، وَهِي لَا إِلَه إِلَّا الله.))[1]

كما ورد عند ابن الجوزي: أنّ **الْعَهْد** فِي الْقُرْآن على سَبْعَة أوجه:

([1]) . نزهة الأعين النواظر، ص441.

أَحدهَا: الْوَصِيَّة، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {الَّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه} ، وَفِي يس: {ألم أَعهد إِلَيْكُم يَا بني آدم} .

وَالثَّانِي: الْأمان، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي بَرَاءَة: {فَأتمُّوا إِلَيْهِم عَهدهم إِلَى مدتهم}

وَالثَّالِث: الْوَفَاء، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْأَعْرَاف: {وَمَا وجدنَا لأكثرهم من عهد} .

وَالرَّابِع: التَّوْحِيد، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي مَرْيَم: {إِلَّا من اتخذ عِنْد الرَّحْمَن عهدا} ، أَي: وَحده بقول: لَا إِلَه إِلَّا الله.

وَالْخَامِس: الْيَمين، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي النَّحْل: {وأوفوا بِعَهْد الله إِذا عاهدتم} ، قَالَه: ابْن قُتَيْبَة، وَقَالَ غَيره: هُوَ من المعاهدة على فعل الشَّيْء.

وَالسَّادِس: الْوَحْي، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {وعهدنا إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل أَن طهرا بَيْتِي} ، أَي: أَوْحَينَا. قَالَه: الْحسن. وألحقه بَعضهم بالقسم الأول، ومعناهما مُتَقَارب.

وَالسَّابِع: النُّبُوَّة، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {قَالَ لَا ينَال عهدي الظَّالِمين} . [1]

بعض مراجع المادة:

للتوسع في الموضوع ينظر:

*الأشباه والنظائر في القرآن لمقاتل ابن سليمان البلخي ت150هـ

*الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ت478هـ

*منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، ت597هـ

*كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر، لابن العماد، ت887هـ.

* * *

([1]) . نزهة الأعين النواظر، ص448.

المحاضرة الخامسة: المشترك اللفظي في القرآن الكريم

أولا: تعريف المشترك اللفظي:

حدّد معنى المشترك اللفظي ابن فارس في كتابه فقه اللغة، فقال: ((وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللغة)) [1] ومن هذا التعريف يتبين أن عمود المشترك اللفظي هو الدلالة، لأنّ اللفظ الواحد يدلّ على معنى أو اثنين أو أكثر.

ومن البدهيّ أن اللّفظ في أول وضعه كان يدل على معنى واحد، ثم تولّد من هذا المعنى الواحد عدّة معان، وهذا التّوالد هو ما نسميه: تطور المعنى. [2]

والمؤلفات في الاشتراك كثيرة ، لكن بالنسبة للقرآن الكريم لم يرد هذا المصطلح كثيرا عند المتقدمين.

ولعل السبب هو عدولهم عن كلمة "اللفظ" التي لا تليق في رحاب القرآن الكريم، والبديل هو عبارة : "الكلمة ".

يقول أبو الحسن في الإبانة: القرآن يُقرأ في الحقيقة ويُتلى ولا يجوز أن يُقال: يُلفظ به" لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إن كلام الله

([1]) . المزهر في علوم اللغة ج1، ص369.

([2]) . المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1417، ص9

ملفوظ به، لأن العرب إذا قال قائلهم: لفظت باللّقمة من فمي فمعناه: رميت بها، وكلام الله تعالى لا يقال: يلفظ به، وإنما يقال: يقرأ، ويتلى، ويكتب، ويحفظ» لهذا السبب وضعت عناوين أخرى تحمل معنى المشترك اللّفظي ولكنها لا تحمل اسمه. [1]

ثانيا: أسباب وقوع الألفاظ المشتركة في لغة العرب:

من المعلوم كما ذكرنا أن الألفاظ المشتركة ذات المعاني المتعددة قد انتشرت في لغة العرب انتشارا واسعا، وقد ذكر العلماء أسبابا كثيرة لوقوعه، منها:

1- اختلاف القبائل العربية في وضع الألفاظ لمعانيها؛ فقد تضع قبيلة اللفظ لمعنى، وأخرى تضعه لمعنى آخر، وثالثة تضعه لمعنى ثالث؛ فيتعدد الوضع وينقل إلينا اللفظ مستعملا في هذه المعاني دون أن ينص علماء اللغة على تعدد الوضع أو الواضع.

2- قد يوضع اللفظ لمعنى، ثم يستعمل في غيره مجازا، ثم يشتهر استعمال المجازي، حتى ينسى أنه مجازى، فينقل إلينا على أنه موضوع للمعنيين: الحقيقي، والمجازي.

3- أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى مشترك بين المعنيين؛ فيصح

([1]) . المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1417، ص31.

إطلاق اللفظ على كليهما، ثم يغفل الناس عن هذا المعنى المشترك الذى دعا إلى صحة إطلاق اللفظ على كلا المعنيين؛ فيظنون أن اللفظ من قبيل المشترك اللفظي، كلفظ القرء؛ فإنه في اللغة يطلق على كل زمان اعتيد فيه أمر معين، فيقال للحمّى: قرء، أي زمان دوري معتاد تكون فيه. وللمرأة قرء، أي وقت دوري تحيض فيه، ووقت دوري آخر تطهر فيه.

وكالنكاح، لفظ وضع لمعنى الضم، فصحّ إطلاقه على العقد ذاته؛ لأن فيه ضم اللفظين: الإيجاب والقبول، وصح إطلاقه على الوطء أيضا.

ولكن اشتهر إطلاقه على العقد؛ فظن البعض أنه حقيقة فيه مجاز في غيره، وظن البعض الآخر أنه في الوطء حقيقة وفى العقد مجاز.

4- أن يكون اللفظ موضوعا لمعنى في اللغة، ثم يوضع في الاصطلاح لمعنى آخر، كلفظ (الصلاة) وضع لغة للدعاء، ثم وضع في اصطلاح الشرع للعبادة المعروفة [1]

([1]) . ينظر: الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، ط مؤسسة الرسالة، 1987 م، ص 326 - 327.

المحاضرة السادسة: الأضداد في القرآن الكريم

أولا: مفهوم ظاهرة الأضداد:

1- تعريف التضاد لغة:

جاء في كتاب العين: ((ضد: الضِّدُّ كلُّ شيء ضادَّ شيئًا ليغلبَه، والسَّواد ضِدُّ البياض، والموتُ ضِدُّ الحياة؛ تقول: هذا ضِدُّه وضَديدُه، واللَّيل ضِدُّ النهار إذا جاءَ هذا ذهبَ ذاكَ، ويُجمع على الأضداد.)) [1]

كما ورد في لسان العرب أنّ ((... ضدُّ الشيءِ وضدَيدُه وضَديدَتُه خلافُه، الأَخيرة عن ثعلب، وضِدُّه أَيضًا مِثْلُه عنه وحْدَه، والجمع: أَضداد، ولقد ضادَّه وهما متضادَّانِ، وقد يكون الضِّدُّ جماعة والقوم على ضِدٍّ واحِدٍ إذا اجتمعوا عليه في الخصومة، وفي التنزيل: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: 82] .)) [2]

وتعزيزا لما تَبيَّن قول الفيروزأبادي: ((الضِّدُّ بالكسر والضَّديدُ: المثْلُ والمخالفُ ضِدٌّ ويكونُ جمعًا، ومنه: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: 82]، وضَدَّه في الخُصومَةِ: غلبَه و عنه: صرَفَه ومنعَه برفْقٍ والقِرْبة:

([1]) . الخليل بن أحمد؛ "معجم العين"؛ مادة "ضد"، وانظر "لسان العرب"؛ لابن منظور نفس المادة.

([2]) . ابن منظور؛ "لسان العرب" مادة: "ضدد".

ملأَها.... وضادَّه: خالَفَه.))[1]

2- اصطلاحا:

جمعت المفردات والألفاظ العربية كيفياً دون ترتيب أو تنظيم لأن الغاية كانت تتجه أولاً إلى الجمع والتدوين دون غيره، خوفاً على العربية من الغريب الدخيل" وعرفت المرحلة الثانية قدراً أكبر من التنظيم، كجمع الألفاظ التي تشترك في حرف واحد أو التي ترتبط برابطة الأضداد. وفي المرحلة الثالثة وضعت المعجمات الشاملة المنظمة، واعتمد مؤلفوها على ما كُتب في المرحلتين السابقتين، فجمعوا وأضافوا ورتبوا ونسقوا.

وفي هذه الأثناء ظهرت كتب الأضداد وهي التي جمعت ألفاظاً تأخذ معنيين متضادين، بحيث يمكن استخدام كل لفظة منها لمعنيين متنافرين، إذ أن كل لفظة تعني الشيء وضدَّه. [2]

وقد ألف في الأضداد جماعة من أئمة اللغة أشهرهم **أبو بكر بن الأنباري ت 328هـ** الذي اختار في كتابه ما يزيد على أربعمائة من

([1]) . الفيروز آبادي؛ "القاموس المحيط" مادة: "ضدد".

([2]) . ينظر: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، عبد اللطيف الصوفي، دار طلاس، 1986، ص34-36.

الكلمات توهم فيها التضاد، وجعل منهجه "ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديًا عن معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب أن ذلك منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم [1]

وأربعمائة من الأضداد ليست بالمقدار العظيم، ولا سيما إذا اتضح لنا أن أكثرها يرد بيسر وسهولة إلى ضرب من المشترك اللفظي تنتقل به تلك الكلمات من معنى التضاد إلى معنى الاشتراك، وقد لاحظ السيوطي رحمه الله ذلك حين افتتح في المزهر باب "معرفة الأضداد" بأنه نوع من المشترك وأيد ما رآه من اندراج التضاد تحت الاشتراك بقول أهل الأصول وقول بعض العلماء الذين يذهبون إلى ((أن المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالْجَوْن وجلل، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين)) [2]

([1]) . ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ، 1960م، ص309.

([2]) . المزهر ج1، ص387.

ثالثا: نماذج عن التضاد في القرآن الكريم:

ورد المشترك المتضاد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، ذكرها الأنباري في كتابه (الأضداد)، ومنها نذكر:

– قوله تعالى :

(الذين **يظنون** أنهم ملاقو الله) سورة البقرة 249.

أراد: الذين يتيقنون ذلك ، فلم يذهب وهم عاقل إلى أن الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه .

وقال في موضع آخر حاكيا عن فرعون في خطابه موسى عليه السلام: (إني لأظنك يا موسى مسحورا) سورة الإسراء 101.

– قال تعالى: (إنْ هم إلا **يظنون**) سورة الجاثية 24 .

ومعناه: إن هم إلا يكذبون، ولو كان على معنى الشك لاستوفى منصوبيه، أو ما يقوم مقامهما، وأما معنى التهمة فهو أن تقول: ظننت فلانا، فتستغني عن الخبر، لأنك اتهمته، ولو كان بمعنى الشك المحض لم يُقتصر به على منصوب واحد.

– وقال الله عز وجل:

(وما هو على الغيب **بظنين**) سورة التكوير 24.

فيجوز أن يكون معناه بمتهم ويجوز أن يكون معناه بضعيف فيكون الأصل فيه وما هو على الغيب بظنون، فقلبوا الواو ياء، كما قالوا: ناقة طعوم وطعيم، للتي بين الغثة والسمينة.

– وفسر الناس قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله **أندادا** وانتم تعلمون) سورة البقرة 22 ؛ على جهتين:

1– معناه فلا تجعلوا لله أعدالا ، فالأعدال جمع عِدل والعِدل المثل.

2– وقال آخرون أضدادا.

من المشترك المتضاد الذي يجوز حمل الآية على معنييه المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية لفظ {**عَسْعَسَ**} في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} [التكوير: 17]، فقد فسر لفظ (عسعس) بأنه أقبل، وفسر بأنه أدبر، وبالأول قال ابن عباس، وقتادة، وابن جبير؛ وبالثاني قال ابن عباس، وابن زيد.[1]

ومثل هذا يجوز حمل الآية على هذين المعنيين المتضادين، فيكون لفظ {عَسْعَسَ} دالاً على أن الإقسام مراد به أول الليل وآخره، فدل على هذين المعنيين بلفظة واحدة، ولو جاء بهما بلفظيهما لكان: (والليل إذا أقبل وأدبر). [2]

([1]) . ينظر: تفسير الطبري، ج30، ص 78.

([2]) . فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ، ص88.

ومن المشترك المتضاد الذي يمتنع حمل الآية على معنييه، بل يلزم من القول بأحدهما نفي الآخر لفظة **(قرء)** في قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]، فقد ورد في لغة العرب بمعنى: الطهر، وبمعنى: الحيض. [1]

وفي هذا المثال يمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي الآخر، فالمطلوب من المرأة أن تتربص؛ إما ثلاثة أطهار، وإمَّا ثلاث حيض.

- و**المسجور** من الأضداد يقال: المسجور للملوء، والمسجور للفارغ قال عز وجل: (والبحر المسجور) سورة الطور 6، يريد اللملوء.

- **وأخفيت** من الأضداد يقال : أخفيت الشيء إذا سترته ، وأخفيته إذا أظهرته .

قال عز وجل: (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) سورة طه 15. فمعناه أكاد أسترها وقيل أكاد أظهرها.

- و**العاصم** من الأضداد يقال: الله عاصم لمن أطاعه، ويقال: رجل عاصم، أي معصوم، إذا فهم المعنى، قال الله سبحانه وتعالى :

([1]) . ينظر: تفسير الطبري، ج2، ص 439.

(لا عاصم اليوم من أمر الله) سورة هود 43، فمعناه لا معصوم اليوم من أمر الله إلا المرحوم ، ويجوز أن يكون عاصم بمعنى فاعل وتكون مَن في موضع نصب أو رفع على الاستثناء المنقطع.

– ومن الأضداد أيضا **الغابر** فيقال: غابر للماضي، وغابر للباقي قال عز وجل: (إلا عجوزا في الغابرين) سورة الشعراء 171، معناه في الباقين.

***

المحاضرة السابعة: ظاهرة الترادف بين اللغة والقرآن الكريم

أولا: مفهوم ظاهرة الترادف:

1- تعريفها في اللغة:

يطلق الترادف في اللغة على "التتابع" كما سيأتي بيانه:

فالتّرادف في اللّغة كما قال ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة: ((الرّاء والدّال والفاء أصل واحد مطّرد، يدلّ على اتّباع الشّيء، فالتّرادف التّتابع، والرّديف الّذي يرادفك.)) [1]

وقال ابن منظور: ((الرّدف: ما تبع الشّيء، وكلّ شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التّرادف...وترادف الشّيء: تبع بعضه بعضا، والتّرادف: التّتابع.)) [2]

2- في الاصطلاح:

أمّا التّرادف اصطلاحا فهو: ((أن يكون للمعنى الواحد أكثر من لفظ يعبّر به عنه كالسّيف والحسام والصّيْقل .))[3] معنى هذا أن يكون للمسمّى الواحد أسماء متعددة.

([1]) . معجم مقاييس اللغة، ج2، ص418.

([2]) . لسان العرب، ج9، ص114.

([3]) . الشّامل *معجم في علوم اللّغة العربيّة و مصطلحاتها*، محمّد سعيد إسبر- بلال جنيدي، دار العودة بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص 279.

وعرفه الجرجاني بقوله: ((المرادف: ما كان مسماه واحداً، وأسماؤه كثيرة، وهو خلاف المشترك))[1]

وقال السيوطي: ((قال الإمام فخر الدين: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))[2]

ثانيا: أسباب وقوع الترادف:

قال السيوطي –رحمه الله–: ((قال أهل الأصول: لوقوع الألفاظ المترادفة سببان:

أحدهما:

أن يكون من واضِعَيْنِ، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر؛ وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية.

و**الثاني:** أن يكون من واضع واحد وهو الأقل.))[3]

([1]) . التعريفات، ص266.

([2]) . المزهر في علوم اللغة، ج1، ص316.

([3]) . المزهر في علوم اللغة، ج1، ص319.

وقد تباينت أقوال اللغويين قدامى ومحدثين تجاه ظاهرة الترادف، لكن الذي كان ماثلا في أذهان العرب القدامى هو اجتماع أكثر من اسم للمعنى الواحد.

يقول الحطيئة:

ألا حبّذا هندُ وأرضٌ بها هِنْدُ ** وهِندُ أتَي مِنْ دُونِهَا النّأي والبُعْدُ.

وقد تناقل اللغويون والنقاد هذا البيت شاهدا على اختلاف الاسمين للمعنى الواحد تأكيدا ومبالغة.

وأيضا ما نقله الرواة الأوائل من ألفاظ جمعوها من أفواه العرب وقد أثبت بعضها الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه، وأشار إليها أيضا سيبويه في كتابه، حيث قال: ((واعلم أنه من كلامهم.. واختلاف اللفظين والمعنى واحد.)) [1]

ونمت هذه الفكرة حتى غدت مفخرة لدى بعض اللغويين، فالأصمعي مثلا يحفظ للحجر سبعين اسما، وابن خالوية يحفظ للسيف خمسين اسما، ويأتي المعري يشتم من لا يعرف للكلب سبعين اسما، وغيرهم فيما هذا سبيله.

([1]) . الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، ج1، ص24.

وقد ذكر السيوطي رحمه الله أنه تتبع كتب اللغة فحصلها أكثر من ستين اسما ونظمها في أرجوزة أسماها: "التبري من معرة المعري"، وألف الفيروز أبادي "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف".

والترادف لم يكن موضع جدل قبل القرن الثالث الهجري بل كان ينظر إليه على أنه من سنن العرب في كلامها.

ثالثا: آراء القدامى في ظاهرة الترادف:

ابن الأعرابي: ت231هـ وهو أول من قال بالإنكار فقد نقل ثعلب ت291هـ رأي أستاذه ابن الأعرابي القائل: ((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منها معنى ليس في صاحبه ربما عرفناه فأخبرنا به وربما غمض علينا فلا نلزم العرب جهله.))[1]

وقد ذكر **السيوطي** رحمه الله عن تاج الدين السبكي في شرح المنهاج: قوله: ذهب بعضُ الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية وزعم أن كلَّ ما يُظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في الإنسان والبشر فإن الأول موضوع له

([1]) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ج1، ص314.

باعتبار النسيان أو باعتبار أنه يُؤْنِس والثاني باعتبار أنه بادي البشرة. [1]

والقائلين بالإنكار يرون بوجاهة إقرار العلل في الأسماء، وأنها ليست اعتباطية: ((فإن قال قائل: لأي علة سمي الرجلُ رجلا والمرأةُ امرأة والمَوْصِلُ الموصل ودَعْد دَعْداً قلنا: لِعللٍ علِمَتْها العربُ وجَهِلْناها أو بعضَها فلم تَزُل عن العرب حكمةُ العلم بما لحقَنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا.)) [2]

ومنهم **ابن فارس** رحمه الله ت395هـ فقد قال في كابه الصاحبي في فقه اللغة، تحت "باب الأسماء كَيْفَ تقع عَلَى المسميات": ((ويسمى الشيء الواحد بالأَسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهنّد والحسام"، والذي نقوله فِي هَذَا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وَمَا بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.)) [3]

أما **ابن جني** ت392هـ فقد ذكر العلماء أنه من القائلين بالترداف، ومن ذلك ما أشار اليه في (باب في استعمال الحروف بعضها مكان

([1]) . المصدر نفسه، ج1، ص317.

([2]) . المصدر نفسه، ج1، ص315.

([3]) . الصاحبي في فقه اللغة، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م، ص59.

بعض) مستدلاً به علي وقوع الترادف بقوله: ((وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به)).[1] وفيه يحكم علي من يُنكر ان يكون في اللغة لفظان بمعني واحد، ويحاول أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس، وبين ذراع وساعد، بأنه متكلّف. [2]

ويبدو أن أصحاب الترادف لم يكونوا متفقين تماماً في نظرتهم لهذه الظاهرة في اللغة، فهم، كما يري الدكتور احمد مختار عمر، كانوا فريقين: ((الأول: وسّع في مفهومه، ولم يقيّد حدوثه باي قيود، والثاني: كان يقيِّد حدوث الترادف، ويضع له شروطاً تحدُّ من كثرة حدوثه، ومن الأخيرين الرازي الذي كان يري قصر الترادف علي ما يتطابق فيه المعنيان بدون أدني تفاوت.))[3]

([1]) . الخصائص: ج2، ص310، حققه محمد علي النجار، دار الهدي، بيروت (دت).

([2]) . المصدر نفسه.

([3]). علم الدلالة: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1402هـ/1982م، ص217-218.

رابعا: الترادف في ضوء البلاغة القرآنية:

ومما تقدم يتضح أن كثيراً من العلماء الذين نفوا الترادف نرى أن نفيهم منصب عليه في اللغة، وأما نفيه في القرآن فهو من باب أولى وألزم ؛ وذلك لِمَا تميز به أسلوب القرآن في تخيُّره لألفاظه التي تؤدي المعنى المراد دون سواها من الألفاظ، وإنْ كانت قريبة من معناها حتى يُظن أنها مرادفة لها .

وأول ما يُقرِّرُ هذه المسألة ما جاء في القرآن صريحاً من التفريق بين الألفاظ من حيث استخدامها في المواضع المختلفة؛ وذلك لِمَا بين كل لفظة وأخرى من دلالة ومعنى تتميز به دون غيرها ((فالقرآن لا يكتفي بانتقاء الألفاظ وتخيُّرِها، بل يشرع في ذلك صراحة، يُنبِّه إلى خطأ وضع استعمال اللفظ في غير موضعه، ويُرشد إلى بديله))[1]

فالقرآن الكريم دعا إلى الفروق اللغوية ورفض الترادف، من ذلك قوله تعالى : (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (الحجرات:14).

وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة:104).

([1]).خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ج1، ص 252 .

وكذا تفريق النبي عليه الصلاة والسلام بين ألفاظ يُظن أنها مترادفة ومن ذلك :

ما خرجه الإمام مسلم في صحيحه (برقم:2710) بألفاظ متقاربة من حديث البراء بن عازب عن النبي أنه قال: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوئك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإنك إن مِتَّ مِتَّ ليلتك فأنت على الفطرة. [وإن أصبحت أصبحت آجرا]، واجعلهن آخر ما تتكلم به، قال: فرددتها على النبي، فلما بلغت (اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: "ورسولك"، قال: "لا وبنبيك الذي أرسلت").

في ذلك أمر واضح أنه ثمة فرق بين لفظتي الرسول والنبي، وإلا لما أوقفه وأمره باستبدال لفظة النبي بالرسول .

* * *

المحاضرة الثامنة: مخالفة ظاهر اللفظ معناه (استعمال صيغة مكان أخرى)

أولا: مفهوم مخالفة ظاهر اللفظ معناه، والمصطلحات الدالة عليه:

1- مفهوم مخالفة ظاهر اللفظ معناه:

قال ابنُ فارس: فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه كقولهم عند المدح: "قاتله الله ما أشعره" فهم يقولون هذا، ولا يُريدون وقوعَه. ومن قول امرئ القيس يصف رامياً:

فهو لا تَنمِي رَمِيَّتُهُ ... ما لَهُ لا عُدَّ من نفره. [1]

يقول: إذا عدَّ نفره لم يعدَّ معهم، كأنه قال: قتله الله، أماته الله، حتى لا يعدَّ.

ويعبّر عن المخالفة أيضا بمصطلح "العدول" كما عبر به أبو هلال العسكري حين فرّق بين صيغتي: "رحيم" و"رحمن" بقوله: ((وعندنا أنّ "الرحيم" مبالغة لعدوله، وأنّ "الرحمن" أشدّ مبالغة لأنّه أشدّ عدولا، وإذا كان العدول على المبالغة كلّما كان أشدّ عدولا كان أشدّ مبالغة.)) [2]

([1]) . الصاحبي، ص150-151.

([2]) . الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص196.

ومن مظاهر العدول في اللّغة ما ذكره ابن قتيبة في باب: "مخالفة ظاهر اللّفظ معناه"، حيث أدرج فيه أمورا عدّة، منها: مجيء الكلام على مذهب الاستفهام في الظّاهر وهو تقرير في المعنى، أو على الاستفهام وهو تعجّب في المعنى، أو على الأمر وهو تهديد، أو عام ويراد به الخاص، ومنها العدول في استعمال الضّمائر، وغيرها. (1)

وإدراج ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن هذا المظهر العدولي وهو مخالفة الظّاهر من اللّفظ للمعنى المتبادر منه؛ يدلّ على اعتنائه بالسرّ المعنوي للعدول وما يمكن أن تسبغه الدّلالة في خطاب المخالفة للظّاهر من معان أسلوبية تتضح معالمها كلّما تكاثرت علاقات الانحراف بين الدّلالة الأولى المفترضة في الذّهن والدّلالة الثانية المقصودة من الكلام، وبالتالي فكلامه عن المخالفة كونها من موضوعات تأويل المشكل القرآني هو إقرار ببلاغته ولطافة مسلكه، وأنّ الإشكال الوارد في بعض الآيات، وإن يتناقض والظّاهر على مستوى البناء السّطحي فهو ماسك لزمام التركيب رافعا له من مستوى الإبلاغية العادية إلى مستوى البلاغة الفنّية ليحيي في

(1) . ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص275، وما بعدها.

المخاطب روح الانتباه فيجعله يتحسّس بقريحته جودة الإفهام وحكمة البيان.

2- **المصطلحات الدالة عليه:**

وردت في التراث اللغوي العربي عدّة مصطلحات صاحبت مصطلح المخالفة ضُمّنت في دائرة شجاعة العربية ومن بين هذه المصطلحات نذكر: العدول، والالتفات، ونقض العادة، والاتّساع، وإخراج الكلام لا على مقتضى الظّاهر[1] وغيرها.

ثانيا: ضروب من مخالفة ظاهر اللفظ معناه في القرآن الكريم:

1- **مخالفة النداء لمعناه الأصلي:**

ومن ذلك ما يمكن أن يدرّه لفظ **النّداء** مثلا من معان أخرى غير المعنى الأصلي الذي هو "طلب الإقبال" وذلك بطريق العدول لتحقيق أغراض بلاغية معيّنة، ومن هذه المعاني[2]: الإغراء، والزّجر والتحسّر، والتحبّب، والتضرّع، والشّكوى من الزّمن، والتوجّع، وكثير من الأغراض التي يحتملها لفظ النّداء.

([1]) . ينظر: عدول حروف المعاني الجارة في السياق القرآني وأثره البلاغي، ميلود عمارة، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2011، ص6.

([2]) . ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، اليرموك، ط4، 1417هـ-1997م، ص166.

ونورد هنا كلام ابن عاشور في طبيعة النّداء الذي افتتح به قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) [المزمل: 1-2]، يقول: ((والأصل في النّداء أن يكون باسم المنادَى العلم إذا كان معروفاً عند المتكلّم، فلا يعدِل من الاسم العَلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلاّ لغرض يقصده البلغاء... فإذا نوديَ المنادى بوصف هيئته من لِبسَة أو جِلسة أو ضِجعة كان المقصود في الغالب التلطّف به والتحبُّب إليه ولهيئته.)) [1]

وفي الآية السّابقة نداء للنّبي صلى الله عليه وسلم بوصف هيئته مستنسخة من حالته وقت ندائه أُنسا له، وتلطّفا وترفّقا به على تزمّله بثيابه لما اعتراه من الحزن من قول المشركين فأمره الله بأن يدفع ذلك عنه بقيام اللّيل. [2]

أما النّداء الوارد في قوله تعالى: وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) [الحجر: 6]، فهو نداء على وجه الاستهزاء والتهكّم إذ كيف يقرّون بنزول الذِّكر عليه وينسبونه إلى الجنون، وهو من باب التعكيس في كلامهم بنيّة الاستهزاء. [3]

([1]) . التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج29، ص255-256.

([2]) . ينظر: المصدر نفسه، ج29، ص257.

([3]) . ينظر: الكشاف، ج2، ص535.

فهذه المعاني المذكورة الخارجة عن أصل النّداء في حقيقتها جاءت لتؤدي أغراضا بلاغية ـ يقدّرها المقام ـ تخاطِب العقل وتستنطق العاطفة، وترتبط بقدرة المبدع على مما يختلج في فؤاد المتلقّي من حركات روحية تتناسب والمقام.

2- مخالفة الاستفهام والتمني لمعنييهما:

وكذا الأمر عندما نلتقط أطياف المعاني المستوحاة من معنى الاستفهام الوارد في قوله تعالى: قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ [البقرة: 30] حين يتزحزح عن معناه المتبادر "طلب الفهم"، إلى معنى الحيْرة والولَه، ثم يرقّ فيوحي بالشّكوى، وغَلَبة الوَجد، ثم يتفلّت فيَصعُب ضبطه في معنى بعينه، ما يُلجئ البلاغي إلى تضييق منابع مجراه، وذلك بذكر جملة من المعاني المحتملة التي يرى أنها أحاطت بمعناه، وأتت على مجمل مقصده ومؤدّاه.

وفي كلّ هذا ما نستأنس به لنقول إنّ ما يفيده الاستفهام ((أرحب وأدقّ من أن نحدّده تحديدا تامّا، وأنّ المعاني التي يشير إليها هي بطبيعتها خفيّة وهاربة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة.)) [1]

([1]) . دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1987م، ص218.

وإذا ما نظرنا في التكييف البلاغي للتّمني بـ"ليت" الذي يعني طلب أمْرٍ مرغوب فيه، ولكن لا يُرجى حصوله في اعتقاد المتمنّي[1]، فإنّ الأمر يختلف عن الحروف التي قد تعدل عن معانيها الأولى فالعدول في التمني لا يقع في خروج "ليت" عن معنى التمني، وإنما في يكون في عدول التعبير عن إفادة التّمني بحروف أخرى غير ليتَ، ((ولعلّ هذا لعراقتها في التّمني وأنها لم تتخلّص منه ولم تجرِ في غير هذا المعنى القلبي الحميم.)) [2]

ومن أمثلة إفادة التمني بغير أداته؛ قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا [البقرة: 167]، يرى الطاهر بن عاشور أنّ "لو" في قوله: (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) مستعملة في التمنّي، وهو استعمال لغوي كثير، واستعيرت "لو" للتمني بعلاقة اللّزوم، لأنّ الشيء العسير المَنال يكثُر تمنّيه، وشاع هذا الاستعمال حتى صار من معاني "لو". [3]

([1]) . ينظر: الجنى الداني، ص391، والبلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، ص251.

([2]) . دلالات التراكيب، ص200.

([3]) . التحرير والتنوير، ج2، ص98.

ويقول النّحاة إن نصب الفعل بعد الفاء دليل على أنّ لو أُشرِبت معنى التمنّي[1]، واستدلّ الأخفش عن ذلك بقول الشّاعر:

فلَسْتُ بمدركٍ مَا فاتَ مِني ... بـ"لهفَ" ولا بـ"ليتَ" ولا "لو انّي"

فأنزل "لو أني" بمنزلة "ليت" لأنّك إذا قلت: "لَو أنّي كنتُ فعلتُ كذا وكذا "فإنما تريد: "وددتُ لو كنتُ فَعلْتُ". [2]

3- **أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع:**

كقوله سبحانه: قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ [المؤمنون: 99] ، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك، لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا. بقوله الواحد منهم يعني نفسه، فخوطبوا بمثل ألفاظهم. يقول الله عز وجل: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [يوسف:3] ، وإِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ[القمر: 49] .

ومن هذا قوله عز وجل: عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ [يونس: 83]، وقوله: فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ [هود: 14] ، وقوله: فَأْتُوا بِآبائِنا [الدخان: 36]

ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان:

([1]) . ينظر: البحر المحيط، ج7، ص26.

([2]) . ينظر: معاني القرآن، الأخفش، ت: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م، ج1، ص72.

نحو قوله: **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً**، ثم قال: **وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ** [النمل: 34] ، وليس هذا من قولها وانقطع الكلام عند قوله: أَذِلَّةً، ثم قال الله تعالى: وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ.

وقوله تعالى: "الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" [يوسف: 51] ، هذا قول المرأة، ثم قال يوسف: "ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" [يوسف: 52] ، أي ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيب.

وقوله جل وعلا: "يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا"، وانقطع الكلام، ثم قالت الملائكة: "هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" [يس: 52] . (1)

4- مجيء الجمع ويراد به واحد واثنان:

كقوله تعالى: "وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" [النور: 2] : واحد واثنان فما فوق.

وقال قتادة في قوله تعالى: **إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ** [التوبة: 66] : كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلّى الله عليه وسلم، ويسير مجانبا لهم، فسماه الله طائفة وهو واحد.

([1]) . ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص179.

وكان «قتادة» يقول في قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ** [الحجرات: 4] : هو رجل واحد ناداه: يا محمد، إنّ مدحي زين، وإنّ شتمي شين.

فخرج إليه النبي، صلّى الله عليه وسلم فقال: «ويلك، ذاك الله جل وعز» ونزلت الآية.

وقوله سبحانه: **فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ** [النساء: 11] أي أخوان فصاعدا.

قوله سبحانه: **وَأَلْقَى الْأَلْواحَ** [الأعراف: 150] ، جاء في التفسير: أنهما لوحان.

وقوله: **إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما** [التحريم: 4] ، وهما قلبان.

وقوله: **أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ** [النور: 26] ، يعني عائشة وصفوان بن المعطّل.

وقال: **بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** [النمل: 35] ، وهو واحد، يدلك على ذلك قوله: **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ** [النمل: 37] . [1]

([1]) . ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص173.

5-وضع الظّاهر موضع الضّمير، ووضع الضّمير موضع الظاهر:

وهو من صور خروج الكلام عن مقتضى الظّاهر، قال الزّركشي في حديثه عن أسباب الخروج على خلاف الأصل: ((واعلم أنّ الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدّث عنه كذلك. والأصل أنّه إذا ذُكر ثانياً أن يُذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظّاهر السّابق...))[1]، لكنّ مخالفة هذا الأصل تتضمّن أغراضا بلاغية اقتضاها السّياق، أدرجها البلاغيون[2] في حالات العدول عن الأصل، باسم: وضع الظّاهر موضع المضمر، وعكسه.

فمن صور وضع الظّاهر موضع المضمر، قوله تعالى: فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران: 159]، فقد أوثر التّعبير بلفظ الجلالة في موضع الضّمير فلم يقل: عَليَّ، وأيضا لم يقل: إنّه يحبّ، أو إنّي أحبّ، لما احتوته هذه المخالفة من سرّ بلاغي لا يتحقّق بغيره من ذلك؛ تقويةً لداعي المأمور، وتحقيق التّوكُّل بالتّصريح باسم المتوكَّل عليه. وأغراض هذا الفنّ كثيرة أوصلها الزّركشي[3] إلى سبعة عشر غرضا.

([1]) . البرهان، ج2، ص484.

([2]) . ينظر: البرهان، ج2، ص482، والبلاغة العربية، ج1، ص503.

([3]) . البرهان، ج2، ص483، وانظر: عروس الأفراح، ج1، ص459.

المحاضرة التاسعة: الاشتقاق مفهومه، وفائدته اللغوية

أولا: مفهوم الاشتقاق:

1- تعريفه لغـة:

قال ابن فارس في معجمه:

((شق: الشين والقاف أصل واحد صحيح، يدلُّ على انصداع في الشيء، ثم يحمل عليه، ويشتق منه على معنى الاستعارة، تقول: شققت الشيء أشقه شقًّا، إذا صدعته، وبيده شقوق، وبالدابَّة شقاق، والأصل واحد.)) [1]

2- تعريفه اصطلاحًا:

عرَف الجرجاني الاشتقاق بأنه: ((نزع لفظٍ مِن آخرَ، بشرط مناسبتهما معنًى وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة.)) [2]

وعرَّفه الشوكاني بقوله: ((أن تجد بين اللفظين تناسبًا في المعنى والتركيب، فترد أحدهما إلى الآخر.)) [3]

([1]) . مقاييس اللغة، ج3، 170.

([2]) . التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1403هـ، ص27.

([3]) . إرشاد الفحول، ج1، ص117.

وأما في "البحر المحيط" فهو افتعال من الشق، بمعنى الاقتطاع، من انشقت العصا إذا تفرَّقت أجزاؤها؛ فإن معنى المادةَ الواحدة تتوزع على ألفاظٍ كثيرة مقتطعة منها، أو من شققت الثوب والخشبة، فيكون كل جزء منها مناسبًا لصاحبه في المادة والصورة، وهو يقع باعتبار حالين:

أحدهما: أن ترى لفظين اشتركَا في الحروف الأصلية والمعنى، وتريد أن تعلم أيهما أصل أو فرع.

والأخرى: أن ترى لفظًا قضَتِ القواعد بأن مثله أصل، وتريد أن تبني منه لفظًا آخر[4].

ونقل السيوطي رحمه الله في "المزهر" عن ابن دحية في التنوير أنّ: الاشتقاقُ من أغْرَب كلام العرب وهو ثابت عن الله تعالى، بنقل العدول عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم لأنه أُوتي جَوامعَ الكَلِم وهي جمعُ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة فمن ذلك قوله فيما صح عنه: يقولُ الله: (أنا الرحمن خلقتُ الرُّحم وشققت لها من اسمي) . [1]

([1]) . ينظر: مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م، (1659)، ج2، ص305.

وقال في شرح "التسهيل": الاشتقاقُ أخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِر.

وطريقُ معرفته تقليبُ تصاريفِ الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفا غالبا كضرب فإنه دال على مُطلق الضرب فقط أما ضارب ومضروب ويَضْرب واضْرِب فكلُّها أكثرُ دلالة وأكثر حروفا وضرب الماضي مساوٍ حروفا وأكثرُ دلالة وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصْغر المحتجُّ به.

وأما الأكبرُ فيحفظ فيه المادّةُ دون الهيئة فيجعل (ق ول) و (ول ق) و (وق ل) و (ل ق و) وتقاليبها الستة بمعنى الخفة والسرعة. [1]

([1]) . المزهر، ج1، ص275.

ثانيا: الفوائد اللغوية للاشتقاق:

الأولى: الأعلام غالبُها منقولٌ بخلاف أسماء الأجناس فلذلك قل أن يشتق اسم جنس لأنه أصل مُرْتَجَل. [1]

قال بعضهم: فإن صحّ فيه اشتقاقٌ حُمل عليه.

قيل: ومنه غُرَاب من الاغتراب وجراد من الجَرْد.

وجاء في "الارتشاف": الأصل في الاشتقاق أن يكونَ من المصادر وأصدقُ ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان ويغلبُ في العَلَم ويقل في أسماء الأجناس كغُراب يمكن أن يُشتق من الاغتراب وجراد من الجَرْد.

الثانية : قال في "شرح التسهيل" أيضا: التصريفُ أعم من الاشتقاق لأن بناء مثل قردد من الضرب يسمى تصريفا ولا يسمى اشتقاقا، لأنه خاصٌّ بما بنَتْه العرَب.

الثالثة : أَفْرَد الاشتقاق بالتأليف جماعةٌ من المتقدمين منهم: الأصمعي، وقُطْرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي

([1]) . الكليات، أبو البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ص1030.

والمفضل بن سلمة، والمبرد، وابن دُريد، والزَّجاج، وابن السراج والرماني، والنحاس، وابن خالويه.

الرابعة : ((قَالَ أَبُو بكر مُحَمَّد بن السريّ فِي رسَالَته فِي الِاشْتِقَاق وَهِي أهم مَا وضع فِي هَذَا الفنّ من عُلُوم اللِّسَان: وَمن اشتق العجمي المعرّب من الْعَرَبِيّ كَانَ كمن ادّعى أَن الطير من الْحُوت.))[1]

الخامسة : في مثال من الاشتقاق الأكبر: مما ذكره الزجاج في كتابه قال: قولهُم: شجَرتُ فلانا بالرمح تأويله جعلته فيه كالغُصْن في الشجرة وقولهم: للحلقوم وما يتصل به شجر، لأنه مع ما يتصل به كأغصان الشجرة وتشاجر القوم إنما تأويلُه اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة وكل ما تفرع من هذا الباب فأصله الشجرة.

ويروى عن شيبة بن عثمان قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فإذا العباس آخذ بلجام بَغْلَته قد شجرها. [2]

***

(1) . تاج العروس، ج1، ص29.

(2) . المزهر، ج1، ص278.

المحاضرة العاشرة: ظاهرة التناوب والتضمين في القرآن الكريم

أولا: مدخل مفاهيمي:

قد تبدو دلالات حروف الجرّ محدّدة ومحصورة في نطاق لغوي رسمه لها النّحويون باعتبار معناها العام الذي اقتضاه الوضع، وعملا بفكرة أصل الباب[1] التي على وفقها ردّ النّحاة كلّ مجموعة من الأدوات المتشابهة معنىً إلى معنى واحد، فهي وإن تُوسِّع فيها فأصلها واحد، كقولهم إنّ أصل الباء للإلصاق وكلّ أنواعها الأخرى فروع لها، وأصل معاني "في" الظّرفية[2]، وهكذا، لكن سلْطة الاستعمال قد تتجاوز هذه القوانين بالتحوّل الطارئ في توظيف حروف الجرّ، وذلك بمخالفة بعض حروف الجرّ أصول معانيها في بعض التراكيب، فيتغيّر معنى الحرف الواحد بتغيّر سياقاته وتراكيبه، وقد فَرضت هذه الظاهرة نفسها في الوجود اللّغوي مشكلّة محور خلاف في تخريجها، بين من يرى بأنّ هذه الحروف تتناوب وتتقارض في أداء المعاني، ومن يذهب مذهب التضمين وهو إبقاء لدلالة الحرف وعزو الظاهرة إلى الاتساع في الفعل بأن يضمّن معنى فعل آخر، أو يأوّل التركيب تأويلا يقبله اللّفظ، ويرتضيه المقام.

([1]) . ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص97.

([2]) . ينظر: الجنى الداني، ص36، ص250.

وينُسب الخلاف في ظاهرتي التناوب والتضمين إلى جمهور النّحاة الكوفيين والبصريين، وعلى الرّغم من أنّها ظاهرة واحدة، لكنّهم اختلفوا في تفسيرها، فذهبوا مذهبين: فريقٌ إلى التناوب وآخَر إلى التضمين؛ ويمكن تلخيص المذهبين فيما يأتي:

المذهب الأوّل:

رأي الكوفيين: ذهب جمهور[1] الكوفيين[2] ومن سار على نهجهم إلى القول بجواز نيابة حرف الجرّ عن حرف آخر قياسا بحسب الوضع اللّغوي، وأنّ لحرف الجرّ أكثر من معنى حقيقي، لأنّه قسيم الاسم والفعل الذيْن ثَبتَ أنّهما يؤدّيان عدّة معاني حقيقية فيقولون: إنّ "في" بمعنى "على"، و "على" بمعنى "في" وهكذا.

المذهب الثاني:

رأي البصريين: وذهب جمهور البصريين[3] إلى أنّ حروف الجرّ لا ينوب بعضها عن بعض بل يجب إبقاء الحرف على ما وُضع له

([1]) . كلمة "جمهور" إشارة إلى أنّ النّيابة ليست رأي كلّ الكوفيين، فقد جاء هذا الرأي أيضا عن بعض أكابر البصريين، ينظر: الجروف العاملة في القرآن بين النّحويين والبلاغيين، هادي عطية مطر عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1986م، ص381.

([2]) . ينظر: معاني القرآن، الفراء، 63/1، ومجاز القرآن، أبو عبيدة، 324/1، وتأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص567 وأدب الكاتب، ابن قتيبة، ص394، وحروف المعاني، الزجاجي، ص23، والصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص136، والأزهية في علم الحروف، الهروي، ص267.

([3]) . الجنى الداني، المرادي، ص46، وانظر: بدائع الفوائد، 423/2، ومغني اللبيب، ص150-151.

إمّا بتأويل يَقبَله اللّفظ، أو بتضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشّذوذ. [1]

ومن أمثلة المخالفة في استعمال حروف الجرّ قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ [الشورى : 25]، فالفعل "قَبِلَ" يتعدّى في عرف استعماله بحرف الجرّ "مِن" دون "عن"، ومنه اختلف في تأويل هذا العدول: فذهب كثير من علماء الكوفة إلى أنّ الفعل بقي على معناه المعهود ولم تنتقل دلالته المعنوية إلى معنى فعل آخَر، وإنّما المخالفة في المعنى مقصورة في حرف "عن" إذ اكتسب معنى حرف آخر يناسب هذه التعدية وهو حرف "مِن" وبالتالي القول بجواز تناوب وترادف[2] الحرفين في مثل هذه المواضع.

([1]) . ينظر: الخصائص، ابن جني، 308/2.

([2]) . عبّر ابن هشام الأنصاري عن التناوب بالمرادفة، ينظر: مغني اللبيب، ص151.

أمّا المذهب الثاني فيرى بالتضمين وذلك أنه لفظ التّوبة في الآية تضمّنت وأُشربت معنى العفو والصّفح[1]، أمّا حرف الجرّ "عن" فهو مسوق لإتمام هذا المعنى.

وقد عدّ كثير من الدّارسين القدماء والمحدثين[2] مسألة اتّصال الفعل بحرف ليس ممّا يتعدّى به عدّها مظهر من مظاهر "الحمل على المعنى"، على اعتبار أنّ هذا الأخير بابٌ موسوم بطرافة النّكت ولطافة التأويل حتى وصفه ابن جني بأنّه ((بحرٌ لا يُنْكش، ولا يُفْتج، ولا يؤبى، ولا يُغَرض ولا يُغضغض.))[3]

ثانيا: بيان مذهب التضمين:

أولا: تعريفه لغة:

التّضمين لغة بمعنى الإيداع، قال صاحب التاج: ((و ضمَّن الشّيءَ الشّيء: إذا أودعه إيّاه، كما تودع الوعاء المتاع، والميّت القبر.))[4]

([1]) . ينظر: البرهان في علوم القرآن، 339/3.

([2])- ينظر: الخصائص، 435/2، والحمل على المعنى في العربية، علي عبد الله حسين العنبكي، ط1، 2012م، ص336.

([3])- الخصائص، 435/2.

([4])- تاج العروس، 334/35.

ثانيا: تعريفه اصطلاحا:

يعرّف التضمين في الاصطلاح بأنّه: إشراب لفظ معنى لفظ وإعطاؤه حكمه لتؤدّي الكلمة مؤدّى كلمتين[1]، أو هو: ((إعطاء الشّيء معنى الشّيء.))[2]

وللتضمين صلة وثيقة بتعدّي الفعل ولزومه، وكذا الحقيقة والمجاز، وتأويل الشّواهد بحسب قواعد التّعدي واللّزوم، نحو قولهم في قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) [المعارج: 1]، أي: دعا بعذاب غير كوصوف.[3]

فالتضمين عند البصريين هو ضربٌ من التأويل اللّغوي لظاهرة تعدية الأفعال بأحرف لا تتعدّى بها في عُرف اللّغة أو ــ الاستعمال المطّرد ــ كأن يضمّن الفعل اللازم معنى المتعدي أو المتعدي معنى اللازم، يقول ابن جني: ((اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه وذلك كقول الله

([1])- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ص897.

([2])- البرهان في علوم القرآن، 338/3.

([3])- التحرير والتنوير، 159/29.

عزّ اسمه: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ [البقرة: 187] وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها لكنّه لما كان الرفَث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدّى أفضيت بـ"إلى" كقولك: أفضيت إلى المرأة جئت بـ"إلى" مع الرفث إيذانا وإشعارا أنّه بمعناه.))[1]((

([1])- الخصائص، 308/2.

ثالثا: بيان مذهب التناوب:

1: تعريفه لـغة:

النيابة في اللّغة مصدر نابَ فلانٌ عن فلانٍ في الأمر إذا قام مَقَامه، واسم الفاعل منه نائب والجمع نَوب كزائر وزَوْر، وقيل: هو اسم جمع لاجمع، والنَّوب والمَناب: مصدران أيضا بمعنى النّيابة، يقال: أنَبْتُ عن كذا إذا أقمتُ مقامه. [1]

2: تعريفه اصطلاحا:

يمكننا تعريف مذهب التناوب في حروف الجرّ، بقولنا: هو أن يقع الحرف موقعا ليس له بجهة الأصالة، فيقوم مقام ما خلفه في الإفادة أو الوظيفة النّحوية.

ووقوع النيابة عند النّحاة لها عدّة أسباب، من ذلك التجوّز في الاستعمال؛ وهو باب واسع من أبواب اللغة، ومن مظاهره: نيابة أدوات الشّرط والاستفهام، وكنيابة ذي القرب عن ذي البعد في أسماء الإشارة تجوّزا في المنزلة والقَدر، كما في قوله تعالى حكاية عن المشركين: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا **أَهَذَا** الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ [الأنبياء: 36]، والأصل: أذلك، لأنّهم يتحدثون في

([1]) . ينظر: لسان العرب، 776/1.

غيبته، فناب "هذا" عن "ذلك" لغرض معنوي وهو تهوين المشار إليه وهو هنا النّبي صلى الله عليه وسلّم.[1]

أمّا عن هذا المذهب فيجب أن ننبّه على تقييد الإطلاق الذي اشتهر عند الكوفيين في مقولتهم: "إنّ حروف الجرّ ينوب بعضها عن بعض" إذ لا بدّ من توخّي الدّقة في استعمالها، ومعرفة الفروق الدّقيقة بين هذه الحروف، فإنّ ((كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد؛ في كلّ منهما معنى ليس في صاحبه؛ ربّما عرفناه فأخبرنا به، وربّما غَمُض علينا فلم نُلزم العرب جهله.))[2]، وتتأكّد في بيان القرآن الكريم الذي سيقت ألفاظه وَفق معانيه ببلاغةٍ خضعت لرفعتها فرسانُ الفصاحة وأرباب البيان، لذلك لا يمكن لمتذوّق بلاغة القرآن أن يكتفي عند هذه المقولة، لأنّ لطائف المعاني بطبيعتها لا تعلَقُ إلا بلطائف الاستعمال، وهذا المسْلك ودقّته، قد يمّمته أفهامُ العلماء فرفعوا شأنه ونوّهوا به، لِمَا تضمّنه من نِكاتٍ وأسرار.

([1]) . ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ص252.

([2]) . المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 314/1. نقل هذا الكلام السيوطي عن ابن الأعرابي، وإنْ ورد لفظ "الحرف" هنا في معرض العموم ليشمل الاسم والفعل، لكن يحسن الاستدلال به في قسيمهما وهو حرف المعنى.

يقول محمود شاكر بعد ذكره لشأن حروف المعاني: ((أمّا المشقّة العظيمة، فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل، ثمّ اختلاف معانيها باختلاف مواقعها، ثمّ ملاحظة الفروق الدّقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثّرة في معاني الآيات، وهذا وَحده أساس علم جليل من علوم القرآن.))[1]

ولأنّه من غير الممكن القول باستواء أي حرفَين في الدّلالة، لأنّ لكلّ حرف دلالته الخاصّة به . فهذا القول ينزّه عنه كلام البشر، فكيف إذا كان في البيان القرآني المعجز الدقيقة ألفاظه والفائقة معانيه، فإنّ القول بقَبول التناوب في القرآن لا يكاد يرضي الباحث في حقّ بلاغة القرآن، لأنّه يقتضي أنّ القرآن حين يُؤثِر التعبير بحرف من حروف الجرّ دون ذلك الحرف الذي هو موضوع أصلا لذلك المعنى؛ يكون إيثاره له عاريا عن البلاغة، ومنه يصير الحرفان شيئا واحدا، وهذا ما ننزّه عنه البيان المعجز. [2]

كما أنّ الأصل أنّ كلّ حرف لا يدلّ إلا على ما وُضِع له، ولا يدلّ على معنى حرف آخر.[3]

([1]) . تصدير كتاب: "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، لعبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، القسم الأول، 1/ (د).

([2]) . ينظر: من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم، ص 733- 734.

([3]) . ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، 481/2، وانظر: معاني النحو، 7/3.

فعلى الناظر في معاني الحروف أن يتنبّه على ما تنبّه عليه العلماء من ضوابط استعمالها في الكلام، مع توخّي الدقّة، وتجنّب الخطأ، وما ذاك إلا لدقّة حروف المعاني في محاكاة معانيها؛ ببلاغة تتنزّه عن تشابك المعاني والتباسها.

فهذا ابن جني يتحدّث عن الخلط الواقع من بعض من خرّج هذه الظاهر على النيابة: ((هذا باب يتلقّاه الناس مغسولا ساذجا من الصّنعة وما أبعد الصّواب عنه وأوقفه دونه))[1] بمعنى أنه عارٍ من الدّقة وبعيد عن الإحكام، وذلك أنَّهم يقولون: إنّ "إلى" تكون بمعنى "مع" وفي بمعنى على ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه: كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ [الصف: 14]، أي مع الله، وقوله: وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [طه: 71]، قال ابن جني: ((ولسْنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكنّا نقول: إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الدّاعية إليه والمسوغة له، فأمّا في كلّ موضع، وعلى كلّ حال فلا...))[2]

والأمر نفسه عند الزجّاج الذي عدّ الظّاهرة من باب الحمل على المعنى، وليست من تناوب الحروف فالمعنى من قوله تعالى: كَمَا

([1]) . الخصائص، 306/2.

([2]) . نفسه، ج2، ص308.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ [الصف: 14] هو: من يضيف نصرته إلى نصرة الله.[1]

إنّ كلّ حرف من كتاب الله تعالى جاء ليدلّ على معنى محكم ودقيق، ولا يمكن أن يؤدّى هذا المعنى بغيره، ولذلك نجد في التعبير لقرآني مع الفعل الواحد أكثر من حرف جرّ، في نحو قوله تعالى أَلَهُمْ أَرْجُلٌ **يَمْشُونَ بِهَا** [الأعراف: 195]، وقوله: كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ **يَمْشُونَ فِي** مَسَاكِنِهِمْ [طه: 128]، وقوله وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ **يَمْشُونَ عَلَى** الْأَرْضِ [الفرقان: 63].

ولا يخفى على دارسي هذه المسألة أنّ كلا الرأيين ما هما إلا محاولة من العلماء لتأويل وجه التّعديَة، وتصحيح هذا العدول التركيبي ليتوافق مع القاعدة النّحوية، وعليه نقول بأنّ التوقّف في تخريج هذه الظاهرة عندهما يبتّ الطريق أمام الدارسين ويصرف هِمَمهم عن البحث في أعماق النصوص للوقوف على نكت البلاغة في تنوّع المعاني التي يكتسبها الفعل بتنوّع معاني حروف الجرّ الدّاخلة عليه، وهذا يشترط إعمال الفِكر والتأمّل، ويحوي أسرارا بيانية ومعاني ثانية دقيقة تنوّعت أقوال البلاغيين والمفسّرين في تخريجها.

([1]) . إعراب القرآن، ص806.

يقول الرافعي –رحمه الله تعالى– ((فالحرف الواحد من القرآن معجِز في موضعه لأنّه يمسك الكلمة التي هو فيها ليُمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السرّ في إعجاز جملته إعجازا أبَديّا، فهو أمرٌ فوق الطبيعة الإنسانية.))[1]

وبدراية تقارب الحروف تتضحّ الخاصية السّياقية التي تميّز بعض الحروف عن بعض، فيكون في الآية القرآنية معنى دقيق لحرف معيّن قد يُفقد هذا المعنى إذا قلنا بإمكانية إحلال نائِبِه محلّه. ولنضرب لذلك مثلا؛ هو قول الزمخشري في بعض تحليلاته: ((فإن قلت: يجري لأجل مسمّى، ويجري إلى أجل مسمّى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت :كلّا، ولا يَسلُك هذه الطريقة إلا بليد الطّبع ضيّق العَطِن، ولكنّ المعنيين: أعني الانتهاء والاختصاص كلٌّ واحد منهما ملائمٌ لصحّة الغرض؛ لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمّى: معناه يبلّغه وينتهي إليه، وقولك: يجري لأجل مسمّى: تريد يجري لإدراك أجل مسمّى تجعل الجَرْي مختصّاً بإدراك أجل مسمّى، ألا ترى أنّ جَري

(1) . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ– 1973م، ص 211.

الشّمس مختصّ بآخر السّنة، وجري القمر مختصّ بآخر الشّهر، فكِلا المعنيين غير ناب به موضعه.))[1]

ويمكن القول بأنّ في البيان القرآني لا يمكن لأي حرف أن ينوب عن حرف ويؤدي عنه كلّ دلائله تأدية من كلّ الجوانب والإيحاءات والظِّلال، بحيث يصوّر لك ما يمكن أن يرسمه الحرف الذي جاء به النّظم القرآني.

ومن ملائمة الحروف للغرض نذكر قوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ [البقرة: 187]، وإن خولف في استعمال "إلى" مع الرّفث، فإنّ عدول الحرف عن دلالة الإلصاق إلى معنى الغاية هو سبب جمال العبارة، وسرّ بلاغة التركيب.

* * *

([1]) . الكشاف، 509/3.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم – مصحف المدينة الالكتروني
1- الأشباه والنظائر، جلال الدين السّيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
2- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الدين الخالدي، دار عمار، عمان، ط1، 1421هـ- 2000م
3- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9 1393هـ- 1973م.
4- إعراب القرآن وبيانه، نور الدين الدرويش،
5- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ- 1974 م.
6- البرهان في علوم القرآن، الزرّكشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ط1، 1376هـ- 1957م
7- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997م.
8- التعريفات، علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ- 1983م
9- الصحاح، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة

الرابعة، 1407 هـ - 1987م

10- الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط.

11- الكليات، أبو البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2، 1419هـ- 1998م

12- -اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، عبد اللطيف الصوفي، دار طلاس، 1986.

13- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ،

14- المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن، عبد العالي سالم مكرم، عالم الكتب، ط1، 1430هـ

15- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم دمشق، ط1، 1412هـ.

16- الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.

17- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، دار طيبة، الرياض، ط2، 1421هـ

18- الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، ت: محمد عثمان، مكتبة

الثقافة الدينية، القاهرة، ط 11241 هـ- 4331 م.
19- بدائع الفوائد، ابن القيم الجورية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، جدة.
20- البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ج1، ط1.
21- البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، اليرموك، ط4، 1417هـ-1997م.
22- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، دط.
23- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، دت.
24- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني.
25- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد،
26- التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان، المملكة العربية السعودية، ط4 ، 1441هـ
27- التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ.
28- –تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1419هـ.

29- الحمل على المعنى في العربية، علي عبد الله حسين العنبكي، ط1، 2012م.

30- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ، 1411هـ.

31- الخصائص لابن جني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

32- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ، 1960مـ.

33- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ - 1987م.

34- -دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ، 1992م.

35- صفاء الكلمة، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، 1403هـ

36- عدول حروف المعاني الجارة في السياق القرآني وأثره البلاغي، ميلود عمارة، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2011.

37- -لغة القرآن، الكريم، عائشة بنت الشاطئ،
38- -مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، 1416هـ -1995م
39- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م، (1659).
40- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1417،
41- -معاني القرآن، الأخفش، ت: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ- 1990م.
42- -معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ.
43- -معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.
44- -مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك - حمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط1، 1368هـ.
45- الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة، 1987 م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة: 4

المحاضرة الأولى: مدخل حول نشأة اللغة وخصائصها.....6

أولا: نشأة اللغة 6

ثانيا: تعريف اللغة ومكوناتها 7

ثالثا: خصائص اللفظ والمعنى. 8

رابعا: مفهوم المناسبة بين اللفظ والمعنى. 9

النظرية الإشارية. 10

خامسا: من المؤلّفات القديمة والمعاصرة في الدراسات اللغوية.....**11**

المحاضرة الثانية: غريب القرآن.....14

أولا: تعريف غريب القرآن. 14

ثانيا: الفرق بين الغريب والغامض من الكلام. . . .. .15

ثالثا: الفرق بين غريب القرآن ومعاني القرآن. 16

رابعا: التأليف في غريب القرآن. 16

خامسا: نماذج تطبيقية من بعض كتب غريب القرآن. . . . . .

.....19

1: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة 276هـ. 19

2: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني 502هـ. 21

3: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي. . 25

المحاضرة الثالثة: لهجات القبائل في القرآن 26

أولا: تعريف اللّهجة والفرق بينها وبين اللّغة. 26

ثانيا: اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم. 28

ثالثا: الحكمة في غلبة لغة قريش. 31

رابعا: نماذج من لهجات القبائل في القرآن الكريم. **32**

المحاضرة الرابعة: الوجوه والنظائر في لقرآن الكريم..... 34

أولا: مفهوم الوجوه والنظائر. 34

ثانيا: التأليف في علم الوجوه والنظائر. 37

ثالثا: نماذج عن الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. 40

بعض مراجع المادة. 42

المحاضرة الخامسة: المشترك اللفظي في القرآن الكريم.....43

أولا: تعريف المشترك اللفظي. 43

ثانيا: أسباب وقوع الألفاظ المشتركة في لغة العرب. 44

المحاضرة السادسة: الأضداد في القرآن الكريم.....46

أولا: مفهوم ظاهرة الأضداد: 46

1- تعريف التضاد لغة. . . .. .46

2- اصطلاحا: 47

ثانيا: نماذج عن التضاد في القرآن الكريم. . . .. .49

المحاضرة السابعة: الترادف بين اللغة و القرآن الكريم..... 53

أولا: مفهوم ظاهرة الترادف. 53

ثانيا: أسباب وقوع الترادف. 54

ثالثا: آراء القدامى في ظاهرة الترادف. 56

رابعا: الترادف في ضوء البلاغة القرآنية. 59

المحاضرة الثامنة: مخالفة ظاهر اللفظ معناه " استعمال صيغة مكان أخرى.....61

أولا: مفهوم مخالفة ظاهر اللفظ معناه، والمصطلحات الدالة عليه:.....61

مفهوم مخالفة ظاهر اللفظ معناه: 61

المصطلحات الدالة عليه: 63

ثانيا: ضروب من مخالفة ظاهر اللفظ معناه في القرآن الكريم: 63

1- مخالفة النداء لمعناه الأصلي: 63

2- مخالفة الاستفهام والتمني لمعنييهما: 65

3- أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع: 67

4- مجيء الجمع ويراد به واحد واثنان: 68

5- وضع الظّاهر موضع الضّمير، ووضع الضّمير موضع الظاهر: . . . . . 70.

المحاضرة التاسعة: الاشتقاق مفهومه وفائدته اللغوية.....71

أولا: مفهوم الاشتقاق: . . . . . 71.

ثانيا: الفوائد اللغوية للاشتقاق: . . . . . 74.

المحاضرة العاشرة: ظاهرة التناوب والتضمين في القرآن الكريم.76

أولا: مدخل مفاهيمي: . . . . . 76.

ثانيا: بيان مذهب التضمين: 79

ثالثا: بيان مذهب التناوب: . . . . . 82.

قائمة المصادر والمراجع:.....89

فهرس الموضوعات.....95